كتاب
الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها

لمؤلفه
أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي
«٣٥٥ - ٤٣٧ هـ»

تحقيق
الدكتور محيي الدين رمضان

الجزء الأول

مؤسسة الرسالة

الطبعة الثانية

١٤٠١هـ - ١٩٨١م

مؤسسة الرسالة - بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٢٩٥٥٠١ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً · بيوشران

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

هذا الكتاب أحد الأصول في فنه بما يمتاز به من خصائص ذُكرت في موضعها من مقدمة التحقيق أُعدّد منها : بحثه في أصول اللغة ولهجاتها ، احتواءه على كثير من مذاهب المتقدمين لغويين ونحاة وقراء ، امتيازه بمعالجة الموضوع تعليلا واحتجاجا ، رصده نتائج مهمة ذات بال وأثر في الموضوع ، تمامه في نصه وتقدّم زمن تأليفه .

ومؤلف الكتاب هو أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي المتوفّى ٤٣٧هـ . إمام في هذا الفن ، وفي علوم القرآن ، ومن رؤوس محققيه ، وصاحب تصانيف كثيرة فيها . كانت موضع عناية المتقدمين ، وهي اليوم مُهْتَمّ الدارسين والمحققين . وذلك لما امتازت به من ضبط ووضوح وإحاطة ، وتجنب لكثير مما ليس بمألوف تلك الأيام في الكتاب من نحو الاستطراد والإطالة المملة وما أشبه ذلك .

وقد عنيتُ غاية العناية ، على ماذكرت في المقدمة ، أن أجعل الكتاب مضبوط العبارة ، قويم النص ، كما أراد المؤلف ، ميسور التناول على المرغوب في الكتاب المطبوع ، خاصة كتب التراث .

ولكن هذا العمل لا يتم بجهد صاحبه وحده ، فلا بد لكل مشتغل فيه من يد تسدى إليه ، ورأي يستفيده ، ونصح يهتدي به ، وكذلك كان عملي في هذا الكتاب . ولذا فإن عليّ لكل ذي يد سلفت بفضل شكرا جميلا ، لا تجزئه الكلمات ، وهؤلاء السادة كثرة ، غير أنني أخص بالذكر منهم أستاذي الكبير أمين سر مجمع

اللغة العربية الدكتور شكري فيصل ، فقد ترادفت أياديه بيضاء لا يكدّرها النماء • وكذلك الأخ الفاضل الأستاذ إبراهيم السولامي والأخ الصديق عبد الكريم كريّم ، وكذا الأستاذ الفاضل محمد إبراهيم الكتاني ، جزاهم الله تعالى خير ما يجزي به عن العلم وأهله •

وإن عليّ أيضا للأستاذ رئيس مجمع اللغة العربية الموقـر الدكتور حسني سبح تجديد شكر عاطر وامتنان كثير ، وقد شرفني بموافقته على جعل هذا الكتاب ضمن منشورات المجمع ، هذا وبالله عز وجل التوفيق •

المحـقق

• • •

مقدّمة التحقيق

أ- التّعريف بالمؤلّف

(١) اسمه ونسبه وأصله :

هو أبو محمد مكي بن أبي طالب بن حمّوش بن محمد بن مختار القيسي[١] المقرىء .

وفي اسميه الثالث والرابع خلاف ناقشته في ترجمته المطوّلة التي أرجو أن تطبع قريبا . ولكن تحقيق ذلك عندي أن اسمه هو : مكي بن محمد بن محمد بن مختار ، إذ أن أبا طالب اسمه محمد ، الذي هو حمّوش في تسمية أهل المغرب تحبّبا . وهو ما أشار إليه القِفطي وابن خلّكان والذهبي وغيرهم من أهل التثبت .

وله ثلاث نِسب : فأما أولاها : وهي « القيسي » ، فالغالب الراجح أنها ترجع إلى قبائل قَيس عَيلان التي انتشرت بتلك الأصقاع ، وتكاثرت حتى بلغت إلى ما بعد جبال الأطلس . وأكّد لديّ هذا ما ذكره المراكشي[٢] ، وسواه في كلامهم على القبائل التي انتشرت هناك[٣] . غير أن كل من ترجموه لم يتلبثوا عند هذه النسبة بشيء من الكلام أو البيان . وأما الثانية ، وهي «القيرواني»، فإن بعض من ترجموه يتبعونها « المغربي »[٤] . وكلتا النسبتين تعيّنان أصله وبيئته التي نشأ فيها وترعرع .

---

(١) أنباه الرواة ٣١٥/٣ ، ووفيات الأعيان ٣٦١/٤ ، ومعرفة القراء الكبار ٣١٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٣١/١١/ب ، والوافي بالوفيات ٦٨/٢١/أ ، وعيون التواريخ ٢١٧/١٣/ب ، وطبقات ابن قاضي شهبة ٥٠٣ ، والنجوم الزاهرة ٤١/٥ ، وبغية الوعاة ٢٩٨/٢

(٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ٢٤٨ ، ٢٦٥

(٣) جمهرة أنساب العرب ١٧٦

(٤) معرفة القراء الكبار ٣١٦ ، وطبقات ابن قاضي شهبه ٥٠٣

وتعيّن نسبته الثالثة ، وهي الأندلسي ـ ربما ازدوجتا فكانتا القرطبي الأندلسي ـ موطنه الذي استقر فيه ، وانتهت به الرحلة إليه .

(٢) مولده ونشأته :

وكان مولده بمدينة القيروان ، ذكر ذلك ابن بشكوال وغيره[١] ، لسبع بقين من شعبان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة . ولا خلاف في ذلك غير ما ذكره ابن خلّكان عن الداني في قوله : إنه ولد سنة أربع وخمسين[٢] .

وكانت نشأة مكي وترعرعه في بيئة عاجلتها أيدي الطامعين سواء البربر الذين عُهد منهم الخروج والتمرد ، وولاة العبيديين الذين بثّوا الدعاة واصطنعوا الصنائع تمكينا لهم في تلك البلاد ، ثم بعد ذلك الأعراب الذين جعلوا يعيثون في البلاد الفساد[٣] .

(٣) طلبه ورحلته :

ففي تلك البيئة الغنية بأسباب الحياة والتقدم والنشاط استطاع مكي أن يطلب ويدرس ، وفي مدينة القيروان ، مسقط رأسه ومنشئه ، إذ كانت القيروان محجة العلماء وطلاب العلم ، قرأ على شيوخها طفولته كلها[٤] ، وتلقى ما كان يتلقاه مَنْ كان في سنّه من العلوم والآداب .

وكانت الرحلة سببا لأغلب طلبة العلم وشيوخه ، يحرص عليها أهل تلك البلاد لموضع المشرق عندهم وشرفه في أنفسهم . وكان لمكي في الرحلة نصيب وافر غير ما كان لمثله ممن كان في طبقته . فهو في سن مبكرة لم يتجاوز الثالثة عشرة شدّ الرحال إلى مصر . فكان يقيم سنتين وثلاثا ثم يعود إلى القيروان ، أو يمضي إلى بلاد الحجاز ليؤدي فريضة الحج . وهو في مصر أو القيروان كان يلقى الشيوخ ، ويأخذ عنهم ، ويستدرك ويستكمل على هؤلاء وهؤلاء ، لا يقصّر ولا يكلّ .

وبدأت رحلاته منذ سنة سبع أو ثمان وستين وثلاثمائة ، وانتهت سنة اثنتين

---

(١) الصلة ٥٩٧ ، وانظر أيضا معجم البلدان ١٦٧/١٩ ، وأنباه الرواة ٣١٥/٣

(٢) وفيات الأعيان ٣٦١/٤

(٣) المغرب في تلخيص أخبار المغرب ٤٤٠ ، وانظر تاريخ ابن خلدون ٤٨/٤ ، ورحلة التجاني ٢٤١ ، ٢٦٦

(٤) جذوة المقتبس ٣٢٩ ، والصلة ٥٩٧ ، وبغية الملتمس ٤٦٩

وتسعين وثلاثمائة ، أي مدة خمس وعشرين سنة ، قضاها مترددا بين بلده القيروان ومصر ثم بين مصر والحجاز والشام[1] .

ثم أمضى سنة بالقيروان ، حتى إذا كانت سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، نهض مفارقا القيروان ، لا إلى رجعة ، متوجها إلى الأندلس قاصدا قرطبة ، ليمضي هناك بقية عمره .

(٤) تصدره للإفادة والدرس :

وكان تصدّر مكي للإفادة والدرس ، وهو بعدُ في آخر مرحلة الطلب ، قبل أن ينهض إلى الأندلس ببضع سنوات[2] ، ولعل ذلك كان منه تهيؤاً للأستاذية وتمام التصـــدر .

وتصدّر في قرطبة أول نزوله في مسجد النُّخَيلة ، وقد أُحسّ منه الفضل والتقدم ، وعرفه بعضٌ من أهلهما ، من مثل ابن ذكوان آخر القضاة بقرطبة في عهد الجماعة ، الذي قدّمه وأكرمه ، وعرّفه إلى ذوي الشأن . ثم أمر المظفر أبو مروان بنقله من مكانه إلى جامع الزاهرة ، فأقام هناك يفيد ويقرىء مدة دولة بني عامر ، فإذا قام محمد بن هشام الملقب بالمهدي نقله إلى المسجد الجامع فأمضى فيه يقرىء ويدرّس مدة الفتنة كلها .

(٥) ابرز معاصريه وشيوخه :

ولما كان لمكي ذلك الدأب على الرحلة والطلب فقد كثر شيوخه وتعدد معاصروه ممن كان له بهم صلة .

فأما معاصروه فمن القيروان أَصبغ بن راشد بن أصبغ اللَّخمي ، وهو من إشبيلية ، ورحل إلى القيروان . وتفقّه مع مكي على ابن أبي زيد وأبي الحسن القابسي . وقد توفي قريبا من الأربعين وأربعمائة[3] .

---

(١) الصلة ٥٩٧ ، ومعجم الأدباء ١٦٨/١٩ ، وانباه الرواة ٣١٦/٣ ، ووفيـات الأعيان ٣١٦/٤

(٢) الصلة ٥٩٨ ، ومعجم الأدباء ١٦٨/١٩

(٣) جذوة المقتبس ١٦٤

وكذلك أبو العباس المَهْدوي ، وكان قد دخل الأندلس في حدود الثلاثين وأربعمائة ، وكان ذا علم بالقراءات والأدب ، وبعض تلاميذ هذا هم تلاميذ مكي أيضا . وكانت وفاته بعد الثلاثين وأربعمائة[1] .

ومن أنداده أبو طاهر الأنصاري إسماعيل بن خلف ، وهو عالم مقرىء نحوي ، تصدّى لاختصار كتاب « الحجة » لأبي علي الفارسي كما فعل مكي . وتوفي سنة خمس وخمسين وأربعمائة[2] .

وأبو عمر الطَلَمَنْكي أحمد بن محمد ، نزيل قرطبة ، وكان له التقدم على مكي وسواه بأنه أول من أدخل القراءات إليها . وكثير من تلاميذه هم تلاميذ مكي . وتوفي سنة عشرين وأربعمائة[3] .

وأما شيوخه فمنهم في القيروان الحافظ أبو الحسن القابسي ، وهو من جِلتهم ، وكان موضع إكبار الناس ، وكان ورعا مقدما . أفاد مكي منه القراءة والحديث . وتوفي سنة ثلاث وأربعمائة . وذكر ابن كثير أن الناس عكفوا على قبره ليالي يقرؤون القرآن ، وجاء الشعراء لرثائه من كل أوب[4] .

وكذلك أبو محمد بن أبي زيد ، الذي انتهت إليه رئاسة المذهب المالكي بالمغرب . وذكر القاضي عِياض أنه حاز رئاسة الدين والدنيا . ورُحل إليه ، ونجب أصحابه . وكان يسمى مالكا الأصغر . وإلى هذا الشيخ كان تفقّه مكي وروايته . وتوفي سنة تسع وثمانين وثلاثمائة[5] .

ومن شيوخه في مصر محمد بن علي أبو بكر الأُدْفَوي . ذكر الذهبي أنه برع في علوم القرآن وكان سيد أهل عصره . وقد لزم أبا جعفر النحّاس وروى

---

(1) جذوة المقتبس ١٠٦ ، وطبقات القراء ٩٢/١

(2) طبقات القراء ١٦٤/١ ، وطبقات ابن قاضي شهبة ٢١٨

(3) جذوة المقتبس ١٠٦ ، والصلة ٤٨/١ ، وطبقات القراء ١٢٠/١

(4) وفيات الأعيان ٣٣٩/١ ، والبداية والنهاية ٣٥١/١١ ، وطبقات القراء ٥٦٧/١

(5) رحلة التجاني ٢٦٦ ، وشذرات الذهب ١٣١/٣

عنه كتبه ، وأخذ القراءةعرضا عن المظفر بن أحمد بن حمدان ، وسمع الحروف من أحمد بن إبراهيم وسعيد بن السكن . وذكر الداني أنه تفرد بالإمامة في قراءة نافع رواية ورش . وتوفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة(١) .

وكذلك أبو الطَيب بن غَلبون الذي يرجع إليه ضبط مكي للقراءة . واسمه عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون ، نزل مصر من حلب . روى القراءة عرضا وسماعا عن إبراهيم بن عبد الرزاق وإبراهيم بن محمد وابن خالوَيْه ومحمد بن جعفر الفِرْيابي . قال الداني : كان حافظا للقراءة ضابطا ذا عفاف ونسك وفضل وحسن تصنيف(٢) .

وإلى أبي عدي بن الإمام كان اضطلاع مكي برواية ورش ، اسمه عبد العزيز ابن علي بن أحمد . أخذ القراءة عرضا وسماعا عن أحمد بن هلال وأبي بكر بن سيف ، وروى الحروف عن إبراهيم بن حمدان بسند إلى أبي عبيد القاسم بن سلام ، وعن النحاس عن الأزرق . ورواها عنه أبو عمر الطَلمَنْكي وأبو الفضل الخزاعي وطاهر بن غلبون وعبد الجبار الطرسوسي ، وتوفي سنة ثمانين وثلاثمائة(٣) .

وكان لمجاورته بمكه أثر في تلمذته على بعض الشيوخ ولقائه إياهم . ومن أبرزهم أحمد بن إبراهيم أبو الحسن العَبْقَسي مسند أهل الحجاز في وقته ، وتفرّد بالسماع من محمد بن إبراهيم الدَيْبُلي . وكانت وفاته سنة خمس وأربعمائة(٤) .

وكذلك عبد الله بن أحمد أبو ذر الهَرَوي الرحالة الذي كان يحج كل عام ، ويُسمع الناس ويقيم أيام الموسم . روى عن أبي الفضل بن حميروَيْه وأبي عمر

---

(١) طبقات القراء ٢/١٩٨ ، وطبقات ابن قاضي شهبة ٨٦ ، وشذرات الذهب ٣/١٣٠

(٢) وفيات الأعيان ٥/٢٧٧ ، وطبقات القراء ١/٤٧٠.

(٣) طبقات القراء ١/٣٩٤ ، وشذرات الذهب ٣/١٠١

(٤) شذرات الذهب ٣/١٧٣

ابن حَيْوَيَة ومن في طبقتهما ، وأخذ مذهب مالك عن ابن الباقِلاني . وصنّف مستخرجا على الصحيحين . وعنه أخذ المغاربة مذهب الأَشعَري . وكان حافظا ثقة متدينا متقنا . توفي سنة أربع وثلاثين وأربعمائة[1] .

وهؤلاء قليل من كثير من معاصري مكي وشيوخه .

(٦) أبرز تلاميذه :

وكان تلاميذ مكي جماعات كثيرة على ماجاء في ترجمته وتراجم سواه مِمن تردّد ذكر مكي فيها أنه شيخ لهؤلاء وهؤلاء . وإنما أقتصر في الكلامِ على أبرزهم أو على بعضٍ من أبرزهم .

وأول هؤلاء أبو عمر المقرىء واسمه أحمد بن محمد الكَلاعي . وهو قرطبي ، روى عن جماعة ، منهم أبو المَطرِف القَنازعي والقاضي يونس بن عبد الله وأبو محمد بن بَنوش وسواهم ، لكنه اختص بمكي وأكثر عنه . وكان مقرئا فاضلا ، عالما بالقراءات ضابطًا لها . وله تواليف كثيرة في معناها . وكانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة وصلى عليه شيخه مكي[2] .

ومنهم ابنه أبو طالب محمد ، وقد روى عن أبيه أكثر ما عنده كما أنه شـاركه السماع على القاضي يونس ، وقد أجازهما هذا وكذلك الفقيه أبو علي الحداد . وأخذ أبو طالب عن أبي القاسم بن الإفليلي وحاتم بن محمد . وكان وافر الحظ من الأدب ، حسن الخط ، جيد التقييد . وكثير من مصنفات أبيه إنما كان مخرجها عن طريقه . وولي أحكام الشرطة والسوق مع الأَحْباس وأمانة الجامع بقرطبة . وكان حميدا فيما تولاه . وتوفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة[3] .

وممن اختصّ بمكي أيضا أبو عبد الله الطرَفي محمد بن أحمد الكِناني ، شارك أبا عمر المقرىء التلاوة عليه بالروايات ، وأخذ أكثر ماعنده، وصحب أبا العباس المَهْدوي . وهو ، على ما وصفه ابن بَشْكوال ، من أهل المعرفة بالقراءات والعلم

---

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٥٠ ، وشذرات الذهب ٣/ ٢٥٤

(٢) الصلة ١/ ٩ ، ٥٢ ، وتكملة الصلة ٥٢ ، وطبقات القراء ١/ ١١٣

(٣) الصلة ٥٢٣

بوجوهها وطرقها ، والضبط لها ، مع الفضل والدين ، وحسن المعاشرة والثقة . ووصفه ابن الجزري بأنه كان عجَباً في القراءات ، وأن الناس أخذوا عنه كثيرا ، وكانت وفاته سنة أربع وخمسين وأربعمائة(١) .

ومن الولاة أبو الوليد محمد بن جَهْوَر ، الذي تَولّى أمر قرطبة بعد أبيه أبي الحزم بن جَهْوَر . وقد سمع في شبيبته علما كثيرا ورواه . وذكر ابن بَشكوال أنه قرأ تسمية شيوخه المذكورين بخطّ يده . وكان فيها كتب كثيرة تدل على عنايته بالعلم . وكان منهم أبو المُطرِف القَنازعي وأبو محمد بن بَنوش والقاضي يونس ، ومكي الذي أقرأه القرآن حتى جوّده . وتوفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة بعد أن اعتقله المعتمد بن عَبّاد(٢) .

ومنهم أبو عبد الله بن شَريح واسمه محمد بن شريح بن أحمد ، وهو من إشبيلية . وكانت له رحلة لقي فيها كثيرا من الشيوخ الكبار ، منهم أبو ذَرّ الهَروي وأبو العباس بن نُفَيْس وأبو الحسن القَنْطَري وتاج الأئمة أحمد بن علي ومكي بن أبي طالب الذي أجاز له . وكان من جِلة المقرئين وخيارهم ، ثقة وتلا عليه بالقراءات الثمان ابنه أبو الحسن بن شريح وعيسى بن حَزْم . وله كتاب « الكافي في القراءات » وكتاب « التذكرة » واختصار « الحجة » لأبي علي . وتوفي سنة ست وسبعين وأربعمائة(٣) .

وكذلك الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن عَتّاب ، وهو قرطبي ، وكبير المفتين بها . وقد روى عن مكي ومَنْ في طبقته ، منهم أبو بكر التَجيبي وأبو القاسم خلف بن يحيى وأبو المُطرِف القَنازعي . ذكره ابن بَشْكوال وأبو علي الغَساني فوصفاه بالجلال والعلم والعفاف والتمكن في علوم شتى . وتوفي سنة

---

(١) الصلة ٥٠٩ ، وطبقات القراء ٨٩/٢

(٢) الصلة ٥١٧ ، وبغية الملتمس ٥٤

(٣) الصلة ٥٢٣ ، وطبقات القراء ١٥٣/٢ ، وشذرات الذهب ٣٥٤/٣

اثنتين وستين وأربعمائة ، وشهد جنازنه المعتمد بن عَبّاد راجلا[1] .

وأقتصر على المتقدمين من تلاميذه ، فأذكر بعض أسمائهم ، وأُحيل في الحاشية على مصادر تراجم آخرين ، فمنهم أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي وأبو عبد الله محمد بن عيسى المَغامي وأبو محمد عبد الله بن سهل الأنصاري وأبو الحسين يحيى بن إبراهيم المعروف بابن البَيان أو البياز وأبو عِمران موسى بن سليمان اللَخمي وأبو عبد الله محمد بن محمد الأزدي[2] .

(٧) اخلاقه ومنزلته :

وكانت أخلاق مكي ، بما حظي به من فضائل ، نحيزةً في نفسه ، وبما أهّلته له الحياة دُرْبةً ومعاشرةً تَطبُّع واكتساب ، كل ذلك ائتلف ليبلغ به منزلة العلماء جلالة وقدوة .

وأبرز أخلاقه علوّ همته الذي نراه في هذا الدأب على الطلب ، والرحلة في سبيله ، وهو بعدُ في سن صغيرة .

ومن ذلك ما ذكره أبو عمر بن مَهدي أنه كان حسن الفهم جيد العقل[3] .

وكل من ترجمه جوّد دينه وعقله ، ونسبه إلى الفضل وأهله[4] .

ومن ذلك أيضا ما ذكره ابن مَكْتوم أن شيخه أبا حَيّان أنشده قصيدة لمكي أنشدها له ابن شَقّ الليل محمد بن إبراهيم ، وهو أحد معاصري مكي ، وهي في تسعة عشر بيتا ، مطلعها :

قل لمن يبغي المِرا والجدَلا ... في البراهين وذكر البَدلا
وحكايات الأحاديث التي ... تورِثُ العجزَ وتُبدي الكسلا
ويكَ دَع عنك الخرافات ولا ... تُكثر المزْح أخي والهزلا

(١) الصلة ٥١٥ ، وبغية الملتمس ١٠٥ ، وشذرات الذهب ٣١١/٣

(٢) المغرب في تلخيص أخبار المغرب ٤٠٤/١ ، ٧٢/٢ ، والصلة ١٧٨ ، ٥٢٤ ، ٦٣٣ ، ١٩٧ ، ٢٧٦ ، وتكملة الصلة ١٧٨ ، ١٩٧ ، ٢٧٦ ، وطبقات القراء ٢٣٩/٢ ، ٣١٩ ، ٣٦٤ ، ٢٦٩/١ ، ٤٢١ ، وشذرات الذهب ٤٠٤/٣ ، ٣٥٤ ، ٣٧٦ ، وكذلك هذه المواضع في الصلة ٢٧٦ ، ٢٥٦ ، ١٦٩ ، ١٦٨ ، وتكملة الصلة ٢٦٨ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١١٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٩٩ ، ٣٩٩

(٣) الصلة ٥٩٧ ، وانباه الرواة ٣١٥/٣ ، ووفيات الأعيان ٣٦١/٤

(٤) نزهة الألباء ٣٤٧ ، ومعرفة القراء الكبار ٣١٦

وبعد أن يسوق أمثلة من ترهات هؤلاء النفر من المشعوذين قال :

أَلِفتها عصبة صوفية | تشتهي الأكل وتأبى العَملا
من عدا القرآن والعلم فقد | خالف الله وخانَ الرُسلا
فالزموا السُنّة لا تبتدعوا | واحذروا الزيغ وخافوا الزَللا[1]

وتفرّد ابن العماد ببيتين من الشعر لمكي يحكيان لباقته وكياسته وهما :

عليك بإقلال الزيارة إنها | إذا كثرت كانت إلى الهجر مَسْلكا
ألم تر أن الغيثَ يُسأم دائما | ويُطلب بالأيدي إذا هو أمسكا[2]

ولم أقف في ترجمته ، في كل نصوصها ، على شيء يشينه أو يصمه ، لا من قريب ولا من بعيد ، حتى إن في ذلك إجماعا منهم على وصفه بالإمامة في العلم ، والفضل في الخلق ، والجودة في تناوله مسائله ، والتبحر في فنون العربية والحفظ والأدب ، لم ينمّ أحد منهم بشيء يثلم أستاذيته[3] . ذكر الذهبي أنه « كان من أوعية العلم مع الدين والسكينة والفهم » و « هو شيخ الأندلس وعالمها ، وكان من أهل التبحر في العلوم »[4] .

(٨) وفاته وقبره :

ولا خلاف في تاريخ وفاته غير التفصيل فيه من حيث اليوم والوقت . فقد لبّى مكي نداء ربه تعالى فجر يوم السبت ، وشيّع جثمانه ضحى يوم الأحد لليلتين خلتا من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ، وقد ناهز الثانية والثمانين[5] .

---

(١) حاشية انباه الرواة ٣/٣١٩

(٢) شذرات الذهب ٣/٢٦١

(٣) جذوة المقتبس ٣٢٩ ، ونزهة الألباء ٣٤٧ ، والصلة ٥٩٧ ، وبغية الملتمس ٤٦٩

(٤) سير أعلام النبلاء ١١/١٣١/ب ، وطبقات ابن قاضي شهبة ٥٠٤

(٥) الصلة ٥٩٩ ، ومعجم الأدباء ١٩/١٦٨ ، وانباه الرواة ٣/٣١٨ ، ووفيات الأعيان ٤/٣٦٤

وذكر أبو القاسم بن محمد بن الطَيْلَسان مشهد تشييعه فقال : إن الذين شهدوا جنازته خلق عظيم من الناس ، وإن أهل قرطبة رُزئوا به ، إذ نعي إليهم ، وحفّ بسريره منهم شباب ومشيخة معظم مَشْهدِه ، وبكوه ، وختموا القرآن عليه ختمات عدة ، وتقدّم ابنه أبو طالب محمد فصلّى عليه . وذكر أنه دُفن بمقبرة الرَّبَض [1] .

***

(١) حاشية معرفة القراء الكبار ٣١٧

ب - عِلمهُ ، آراؤهُ ، آثارهُ

(١) ما اضطلع به من علوم :

إن عبارة المترجمين مختلفة بعض الاختلاف في تعيين اختصاصه ، والتدليل على علوم بذاتها دون غيرها ، وليس هذا بعجيب ، ذلك أن مكيا كان من هؤلاء المتفردين الذين كانت علومهم شاملة . فالحميدي يذكره بالإمامة في القراءة والشهرة فيها[١] . وأبو البركات بن الأنباري يصفه بأنه نحوي عالم بوجوه القراءة[٢] . وابن بشكوال ينقل عن أبي عمر بن مهدي أنه كان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية ، مجودا للقراءات عالما بمعانيها[٣] . ويضيف أحمد الضبي وصفه بالأدب والحفظ[٤] . وأما ياقوت فيضيف إلى ما ذكره المتقدمون علمه بالفقه ووصفه بالتفنن[٥] . وأما الذهبي فمرة يصفه بأنه المقرىء العلامة ومرة بأنه من أوعية العلم[٦] . وابن تغري بردى يصفه بأنه محدّث[٧] .

وإن عرضا لثبَت كتبه يقفنا على ذلك الشمول الذي وسعه علم مكي ، بيد أن ذلك الثبت وعرضنا له ليؤكد أن مكيا كان إماما في علوم القرآن مشاركا في غيرها من العلوم .

(أ) علوم القرآن :

وأما علوم القرآن التي كان مكي مضطلعا بها فكثيرة ، أو أنها جميع علوم القرآن ، لم يفته منها شيء . وكلامي على ذلك مقترن بما اطلعت عليه بنفسي من

---

(١) جذوة المقتبس ٣٢٩
(٢) نزهة الألباء ٣٤٧
(٣) الصلة ٦١٠/٢
(٤) بغية الملتمس ٤٦٩
(٥) معجم ادلأباء ١٦٧/١٩
(٦) معرفة القراء الكبار ٣١٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٣١/١١/ب
(٧) النجوم الزاهرة ٤١/٥

كتبه ، سواء التي تمكنت من الحصول عليها ، وهي مخطوطة رهن خزائن التراث هنا وهناك ، والتي أُتيح لي الاطلاع عليها •

فقد كان له في التفسير كتاب ضخم ، تيسّر لي الاطلاع على ثلثه الأول ، فوجدته متميزا من دون أغلب التفاسير المعتدة بأن مكيا قد رسم خطة تأليفه ، وأحكم بناءه بما يتجنب فيه كل ما رأى من الذين تقدموه وقعوا في الغلط فيه من حيث حشد الأسانيد ، أو متفرق المتشابه والمتماثل ، أو إعادة المكرور ، أو الإغراق في جانب ، والاختصار في آخر ، وغير ذلك مما حرص مكي على اجتنابه • وحسب هذا التفسير ما نقله المَقَّري من قول المجتهد الإمام ابن حزم فيه : « وأما القرآن فمن أجلّ ما صنّف في تفسيره كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية »[1] •

وأما في وجوه القراءات رواية واحتجاجا وتعليلا فهو إمام حجة مقدم • إذ أن أكثر مؤلفاته إنما هي في علم القراءة ووجوهها ، أو ما يتصل بها • وأحسب أن نفراً من المؤلفين في القراءة من نحو كتاب التبصرة وسواه من كتب مكي إنما كان متأسيا به مقتفيا أثره متبعا له • ومكي مؤلف حصيف ، كان كثيرا ما ينتفع من أغلاط غيره فيجتنبها ، ويقصد إلى إفادة القارىء والدارس في كل ما يكتب ، فهو يقول في خطة تأليفه كتاب التبصرة : « أخليت هذا الكتاب من كثرة العلل ، وجعلته مجردا من الحجة ، وربما يسّرت إلى اليسار من ذلك لعلة توجبه ، وضرورة تدعو إليه ، وقللت فيه الروايات الشاذة ، وأضربت عن التكرار ، ليقرب حفظه على من أراد ذلك »[2] • ويقول في موضع آخر : « ولولا ما فرّق في الكتب مما نحن جامعوه ، وما عُدم فيه القول مما نحن قائلوه ، وما صعب مأخذه على الطلاب مما نحن مقربوه ، وما طوّل فيه الكلام لغير كثير فائدة لما نحن موجزوه ومبينوه ، لكان لنا عما قصدنا إليه شغل ، وفيما قد ألّفه من تقدمنا من السلف الصالح رضي الله عنهم كفاية ومقنع ، ونحن معترفون لهم بالفضل والتقدم لهم في العلم ، رحمة الله عليهم أجمعين »[2] •

---

(١) نفح الطيب ١٧١/٤

(٢) التبصرة ١/٣

وهذا النص يقطع بأستاذية مكي في هذا العلم ، وسعة اطلاعه على ما تقدم في التأليف فيه ، ونظرته المحصة لكل ذلك .

ومثل ذلك هجاء المصاحف ورَسْمِها ، وفي ثبَت كتبه ما يجزىء عن الكلام عليه ، كما أن في تأليفه كتابه « الكشف » الذي له هذه المقدمة ما لا خفاء معه في قيام مكي بهذا الفن .

وأما تجويده القراءة وفنه في أدائها فلا شك أنه متقدم فيه قيّم به ، وله كتاب في هذا الفن ، قال في مقدمته : « وما علمت أن أحدا من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب ولا إلى جمع مثل ما جمعت فيه من صفات الحروف وألقابها ومعانيها ، ولا إلى ما أتبعت فيه كل حرف منها من ألفاظ كتاب الله سبحانه وتعالى ، والتنبيه على تجويد لفظه والتحفظ به عند تلاوته »[1] . وله فيه غير هذا الكتاب أيضا .

ومما ينعقد على القيام به به كثير من العلوم القرآنية كالرواية ومعرفة المناسبة والنزول ، العلم بناسخ القرآن ومنسوخه ، وله فيه كتابان .

وقام أيضا بعلم الغريب في القرآن . ولا بد له من أن يكون متمكناً من اللغة ونصوصها عارفا لمدلولاتها وتصاريف صيغها حتى يقوم بهذا العلم ، وله فيه كتاب خصّه به ، ولكن له كتبا أخرى لم يكن ليتسنى له تأليفها من غير أن يكون مضطلعا بالغريب ومقتضى علمه .

وفي استدراكه على ابن مَسَرَّة ، فيما ألّفه في القراءات الشاذة وإصلاحه له ما أغفله ، ما يقطع على تمكنه من العلم بشاذ القراءة ، ويكشف عن قدرته فيه .

وكان مكي أستاذا رائدا بتأليفه في مشكل الإعراب حتى إنه حمل غيره من الأئمة من بعده على التأليف فيه ، بل إن له في هذا العلم ما يتصل بمسائله الأمات وأصوله الكبرى[2] .

---

(١) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ٢/أ .
(٢) معجم البلدان ١٧١/١٩ ، وانباه الرواة ٣١٨/٣ ، ووفيات الأعيان ٣٦٣/٤

وأما في علم الوقف والابتداء فله كتب شتى ، منها ما قصره ، على بعض مواضع ملبسة ، ومنها ما تناول فيه بعض الألفاظ الدائرة في كتاب الله عز وجل ، ومنها ما بحث فيه أصول هذا العلم ، فبيّنها وعرّفها ، ثم جاء بالتطبيق عليها كفعل نفر من أئمة هذا الفن منهم ابن الأنباري وأبو جعفر النحاس •

(ب) علوم العربية :

والصلة بين علوم القرآن وعلوم العربية لقيام بعضها ببعض بيّنة •

ولمكي في النحو ، سوى ما تقدم ذكره من تأليفه في مشكل الإعراب ، مايجعله في أهل هذا العلم • بل إن في ترجمته عند غير واحد ، ممن تحدثوا عنه ، ما يقطع بذلـك[1] •

ولن يتسنى لمن يعرض للتفسير أو اختيـار قراءة له أن يقوم بذلـك دون أن يتقن اللغة ويقتدر على معرفتها ، وقد كان مكي كذلك ، وله في اللغة وأصولها مؤلفات مما لا خفاء معه على مقامه فيها[2] •

وكذلك علم الأصوات ، فإن كتابه « الرعاية » الذي تقـدم ذكره ، وممـا ذُكر موضعه من الثّبت ، وبحثه في القراءات ووجوهها ، كل ذلك يحلّه مكانـة سامية في هذا الفن •

(ج) علوم اخرى :

وشأن مكي شأن علماء السلف في القيام بعلوم كثيرة • فإننا نجد أحدهم طبيبا وله باع في الموسيقى • ونجد آخر فيلسوفا وله مشاركة في الأدب أو بالطب وسواه •

بيد أن قيام مكي بغير ما تقدّم لم يكن إلا تبعاً لاختصاصه أو مكملا له •

فمن ذلك علمه بالحديث والرواية ، إذ لا يعقل من مثل مكي ألا يكون متمكنا فيهما • ذلك لما يترتب عن صلة اختصاصه بالعلم وروايته • بل إن مكيا يُعتد شيخا

---

(١) الصلة ٥٩٧ ، وبغية الملتمس ٤٦٩ ، ونزهة الألباء ٣٤٧ ، ومعجم الأدباء ١٦٧/١٩ ، والديباج المذهب ٣٤٦

(٢) معجم الأدباء ١٧١/١٩ ، وانباه الرواة ٣١٨/٣ ؛

(٣) معجم الأدباء ١٧١/١٩ ، وانباه الرواة ٣١٨/٣ ، ووفيات الأعيان ٣٦٤/٤

في العلم والرواية . وقد وقفنا على أخباره وأخبار بعض تلاميــذه ممن رووا عنه وتلمذوا عليه . وله في هذا غير كتاب[1] ، فضلا عن أن في كتبه الأخرى مالا خفاء معه في أنه عالم به .

وله مشاركة بيّنة في الفقه ، مكّنته منه كونه مالكي المذهب ومجاورته للحرم ثلاث سنوات . ولابد من أن يكون ذا اهتمام بالأدب على نحو ما ، وإن البيّن في أسلوبه مايصرح بذلك ويدلل عليه ، وله فيه مشاركة تأليف . كما أن له مشاركة في غير ذلك من نحو علم الكلام والفلسفة وتعبير الرؤيا ، وهو ما يزيد في تبيّن شخصية مكي من جهة وما اضطلع به من علوم وثقافة .

(٢) آراؤه وتصديه لسواه من العلماء :

ومثل مكي ، قيّماً بما تقدّم ذكره من العلوم ، لابد له من آراء يدلي بها ، ويروج لها ، ومواقف تحسب له .

فمن آرائه موقفه من الأحرف السبعة ، ومخالفته لكثير مــن الأئمة لفهمهم إياها ومن ذلك أيضا ردّه على أبي بكر الأُدفوي في تغليط هــذا إياه في كتابــه « الإمالة » ، وردّه على أصحاب الأنطاكي في تصحيح المد لورش .

ومن ذلك رأيه في المفاضلة بين الصحابة وردّه علــى ابن حــزم في هــذا الموضوع[2] .

وكذلك آراؤه الفقهية في نحو ما يقع من الخطأ واللحن في الصلاة في رمضان وغيره ، وفي الحج ومناسكه . وله غير ذلك من آراء اجتزأنا بما تقدم منها .

وأما تصديه لسواه فمنه تصحيح غلط ابن مســرّة في القراءات الشــاذة ، وتصحيحه غلط الجرجاني في نظم القرآن ، وفي دفاعه عن مذهــب المالكية وتبيين معالمه في بعض الفرائض مايكشف عن مواقفه تلك .

غير أن التزام المرء بآرائه ودفاعه عنها وتصديه لسواه مدعاة إلى أن يتصدّى له غيره ، أن يُواجه بمثل ما قد واجه هو به الآخرين .

---

(١) معجم الأدبــاء ١٧١/١٩ ، وانبــاه الرواة ٣١٨/٣ ، ووفيات الأعيــان ٣٦٤/٤ .

(٢) رسالة في المفاضلة بين الصحابة ٢٠٥ ، ٢١٠–٢١٢

وقد تصدّى لمكي غير واحد ممن هو في طبقته بل ممن هو أعلى منها . وكان علة هذا التصدي كتاب مكي « تفسير مشكل إعراب القرآن » . فقد عقد ابن الشجري بابا قال فيه : « يتضمن ذكر ما وعدت به من زلات مكي بن أبي طالب المغربي في مشكل إعراب القرآن » ، وتبع أبو حيّان الأندلسي وكذلك السَفاقُسي ابن الشجري نقلا عنه ماحشده من تلك الزلات[1] .

ولابدّ من أن تحسب لابن الشجري أن من هذه المواضع مايستحق تسميته زلة ، وأن بعضها لا يُعتد به وإنما هو وجوه اجتهادية ، وأغلب الظن أن مكيا قد تعجّل في هذه المواضع فحُسبت عليه ، ولكن حسبُه أن يؤاخذه ابن الشجري لا غيره .

(٣) اسـلوبه :

وأما تبيّن أسلوب مكي فهو واضح في كل ما ترك من آثار . ففي مقدمة كتاب التبصرة ما أعتده دليلا على ذلك قوله : « جمعت في هذا الكتاب من أصول ما فُرّق في الكتب ، وقربت البعيد فهمه على الطالب ، واعتمدت على حذف التطويل والإتيان بتمام المعاني مع الاختصار ، ليكون تبصرة للطالب ، وتذكرة للعالم ، حتى قويت نيتي في كتاب قد علّقت أكثره ، أعمله لنفسي تذكرة إن شاء الله ، أذكر فيه كشف وجوه القراءات ، واختيار العلماء في ذلك .. وأضربت عن التكرار ، ليقرب حفظه على من أراد ذلك . ولولا ما فرّق في الكتب مما نحن جامعوه ، وما عُدم فيه القول مما نحن قائلوه .. يجب أن تعلم أيها الناظر في هذا الكتاب أني ربما قدّمت المتأخر من الحروف المختلف فيها لتصنيفه إلى نظائره ، فيكون ذلك أسهل للحفظ ، وأقرب للمتعلم ، ثم لا نعيده في موضعه »[2] .

ومنه أيضا قوله : « اعلم أن هذا الباب كثير الاضطراب ، وأنا أذكر لك ماقرأت

---

(١) امالي ابن الشجري ٢/٤٤١ ، والبحر المحيط ٢/٤٢٦ ، ٤٣٧ ، ٥١٨ ، ٣/٣٦ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٨/١٤٧ ، ١٧٦ ومواضع أخرى ، والمجيد في إعراب القرآن المجيد الجـزء الأول ٥١/ب ، ٦٩/ب ، ٧٠/أ ، ٧٨/أ ، ١٤٦/ب ، ١٥٩/أ ، ١٨٨/ب ، ٣٣٦/أ ومواضع أخرى .

(٢) التبصرة ٢/ب .

به لتقف عليه إن شاء الله • فمن ذلك إجماعهم علي إظهار النون الساكنة والتنوين عند حروف الحلق ، وسواء كانت النون في كلمة أو كلمتين •• »[١] •

ومن كلامه على أوجه تصريف لفظة الصلاة وأمثالها في كتاب تفسيره قوله : « كتبت الصلاة في المصاحف بالواو لتدل الواو على أصلها ، لأن أصل الألف الواو ، وأصلها صلوة ، فلما تحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت في اللفظ ألفا ، دليله قولهم في الجمع : صلوات ، وقد ذكرنا أن الجمع يرد الأشياء إلى أصولها ، ولذلك قلنا إن أصل ماء موه ، وإن الألف بدل من الواو والهمزة بدل من الهاء ، ودل على ذلك قولهم في الجمع أمواه فرُدّ إلى أصله • وقيل: إنما كتبت الصلاة بالواو لتدل على أنه مشتق من الصلوين • وقيل : إنما كتبت بالواو لأن بعض العرب يفخم اللام والألف حتى تظهر الألف ، كأن لفظها يشوبه شيء من الواو ، والقول الآخر به يعلل ما كتبوه من : الزكوة والحيوة وشبهه بالواو فاعلمه »[٢] •

وإذا مضينا نرصد أبرز خصائص أسلوبه عدّدنا منها : الدقة ، ولا تتوافر الدقة في الأسلوب إلا لمن استوعب مادة بحثه وموضوعه ، وهي ميزة بيّنة في كل ما كتبه مكي مما اطلعت عليه •

والاستقصاء والمناقشة ، وهذه ميزة تلزم عن الدقة ، فلسنا نقف على بحثه المسألة وإن صغرت إلا انتهينا فيها إلى كل ما يمكن أن نجده متفرقا عند غيره من الباحثين • وهو يَفضُل غيره مثل أبي علي الفارسي في هذا لما يستوفي المسألة حق الاستيفاء دون أن يخرجه ذلك إلى جوانب أخرى تبعد بالقارىء عن أصل المسألة التي كان بدأها ، وما أكثر ما اعتذر مكي نفسه من أن يكون أطال في استقصائه ومناقشته •

والبيان والوضوح ، وهي ميزة تلزم عن الاستقصاء لما يعرض له مكي من هذه المسائل • فلا تكاد أصول المسألة التي يتناولها ماثلة تتسع مع الاستقصاء والمناقشة بعبارة تبين عن نفسها وتوضح مكنونها ، لا تغرب ، ولا تنحرف عن وجهها الذي تمضي إليه دون تعثّر ، وإن طالت المسألة أو هو أطال بحثها وتقليب وجوهها ،

---

(١) التبصرة ٣٧/ب .

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية ٧/ب .

على أنها توشك أن تخلو أيضا من الهلهلة والثقل اللذين يسمان العبارة المتكررة •

والمحاكمة والتدليل ، وهي ميزة ظاهرة فيما يطبع أسلوبه من استعمال الشرط ، يدعم ذلك التمثيل والاستشهاد والعزو ، فنراه يأتي بوجوه محتملة ، وأخرى مروية ، ويناقشها ويعاود بيانها ، وعرض جوانبها ، فإذا استنفذ كل وجه جاء بالوجه الذي يذهب إليه مدللا عليه محتجا له •

والنتائج والأحكام ، وهي تلزم عن المحاكمة والتدليل لما يتوجب على مَنْ يحتكم ويدلل من الخلوص إلى نتيجة وحكم على ما عالجه • وما أكثر ما تقرأ قوله ، على نحو ما كان يفعل كثير من أئمة كل فن من المتقدمين « فافهم ذلك » و « فاعلمه » وما أشبه ذلك من هذه العبارات التي يختم بها مسألة بحثها وأشبعها بيانا • وربما كانت نتائجه قاطعة ، وربما كانت ترجيحية أو مساوية •

وآخرها منهجيته ، فكل ما تقدم من ميزات أسلوبه يقتضي هذه المنهجية التي تسم كل موضوعاته وكتبه ، فهو ككثير من المتقدمين من العلماء والمؤلفين ، يقدّم لموضوعه بالخطة التي يعزم على اتباعها في البحث والدرس ، وهو كثيرا ما يكرر ذكر خطة أو فكرتها في غير مقدمة من مقدمات كتبه ، حتى كأن كتبه في مجموعها أبواب وفصول كتاب واحد !

بيد أن عبارة مكي ، إذا ما أكثر الاستقصاء ، وتتبع ومحّص ، يبدو عليها الغموض حينا ، والهلهلة أحيانا أخرى ، ولكنها في كل حال هنات معدودة •

(٤) نشاطه التأليفي وفهرسته :

ويُعدّ مكي فيمن كثرت تآليفه ، وكان نشيطا في التأليف على الرغم من الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية التي كانت عرضت له في حياته العامة مابين طلبه ودخوله الأندلس •

وبالرغم من ذلك فإن كثيرا ممن ترجموه ذكروا أعداد ما ألّف مكي من كتب ، واقتصر بعضهم على عدد منها خشية التطويل ، واختصر بعضهم فوصفه بكثرة التأليف والنشاط فيه[1] • وأرجح أن مكيا واظب على التأليف إلى قبيل وفاته إذ

(١) نزهة الألباء ٣٤٧ • وبغية الملتمس ٤٦٩ • ومعجم الأدباء ١٦٨/١٩ ، وأنباه الرواة ٣١٤/٣ • ومعرفة القراء الكبار ٣١٧ • وسير أعلام النبلاء ١٣١/١١/ب •

تجاوز الثمانين . وهاهو ذا يقول في مقدمة « الكشف » : « تطاولت الأيام وترادفت الأشغال عن تأليفه وتبيينه ونظمه إلى سنة أربع وعشرين وأربعمائة فرأيت أن العمر قد تناهى والزوال من الدنيا قد تدانى فقويت النية في تأليفه وإتمامه خوف فجأة الموت وحدوث الفوت .. »[١] . ونحن نعلم أن وفاته كانت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة أي بعد أن بدأ بتأليف الكتاب المذكور بأقل من أربع عشرة سنة ، وهو في تلك السن العالية ، وهذا مما يتفرّد به مكي ، وقليل ممن هم في طبقته ، من أهل العلم ، لم يثنه عن تحقيق ذلك اكتفاء بما أصابه من شهرة ، أو علو سن وشيخوخة ضعيفة .

ومكي لا يني يذكر كتبه بعضها في بعض مشيرا إلى ترتيب ظهورها ومكانها الذي ألّفت فيه[٢] .

(٥) ثبت مؤلفاته وتداولها :

ورأيت أن أصنف مؤلفات مكي بمقتضى موضوعاتها عدّا ، وحصراً لها في زمر ، وبيانا لاتجاه المؤلف موضوعا .

(آ) « في علوم القرآن » :

(١) كتاب التبصرة في القراءات . خمسة عشر جزءا . وهو من أشهر تآليفه[٣] .

(٢) كتاب الكشف[٤] عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، عشرون جزءا . ذكره ابن الأنباري فقال : وألفه في أواخر عمره سنة أربع وعشرين وأربعمائة ، وهو كبير الفائدة . وكذلك ذكره ياقوت .

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢/أ .

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية ٤/ب ، ١/٣١ ، والتبصرة ٢/ب ، ٣/أ ، والكشف ٢/أ-ب ، وانظر أيضا طبقات القراء ٢/٣١٠ .

(٣) وفيات الأعيان ٣٦٢/٤ ، ومرآة الجنان ٥٨/٣ ، وذكر بروكلمان أنه في برلين برقم : ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، وسليم آغا ٨ ، ونور عثمانية ٥٥

(٤) يسميه ابن الأنباري وياقوت « البيان » ، انظر نزهة الألباء ٣٤٧ ، ومعجم الأدباء ١٦٨/١٩ ، ويسميه القفطي الكشوف انظر أنباه الرواة ٣١٧/٣

(٣) كتاب تفسير مشكل إعراب القرآن[١] • ذكره ابن الجزري فقال : وقال رحمه الله (يعني مكيا) •• وألفت مشكل الإعراب في الشام ببيت المقدس سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة •

(٤) كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية ، في التفسير ، سبعون جزءا ، ذكره المَقَّري ، ونقل قول الإمام ابن حزم فيه وهو : أما القرآن فمن أجلّ ما صنّف في تفسيره « كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية » في نحو عشرة أسفار ، صنفه الإمام العالم الزاهد أبو محمد مكي بن أبي طالب[٢] •

(٥) كتاب الإيضاح في الناسخ والمنسوخ ، ثلاثة أجزاء[٣] •

(٦) كتاب الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه •

(٧) كتاب التذكرة في اختلاف القراء ، جزء •

(٨) كتاب الإبانة عن معاني القراءة ، جزء[٤] •

(٩) كتاب الموجز في القراءات ، جزآن • ذكر ابن الجزري عن مكي قوله : ألفت كتابي الموجز بقرطبة سنة أربع وتسعين وثلاثمائة[٥] •

(١٠) كتاب الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة[٦] ، أربعة أجزاء •

(١١) كتاب التنبيه على أصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه ، جزآن •

(١٢) كتاب الانتصاف في الرد على أبي بكر الأدفوي فيما زعم من تغليطه في كتاب الإمالة ، ثلاثة أجزاء •

(١٣) كتاب الإمالة ، ثلاثة أجزاء •

---

(١) يسميه ياقوت «إعراب القرآن» ، ولعله التبس على بعض المترجمين لمكي بكتاب مشكل معاني القرآن له فذكر بأكثر من اسم . وذكره بروكلمان وهو في برلين برقم : ٧٠٣ ، وجاريت ١٢٥٧ ، والقاهرة أول ١/٢١١ ، والقاهرة ثان ١/٦٢ ، والأسكوريال ثان ١٤٣٧ وغيرها .

(٢) نفح الطيب ٤/١٧١

(٣) ذكر بروكلمان أنه في جامع القرويين بفاس ٢١٠

(٤) ذكر بروكلمان أنه في مكتبة حميدية ٢/١٨

(٥) طبقات القراء ٢/٣١٠

(٦) انظر بروكلمان ، فقد ذكر أنه في : بودلپانا ٢/٢٤٤ ، قوله ١/١٩ وغيرهما .

(١٤) كتاب منتخب الحجة في القراءات لأبي علي الفارسي ، ثلاثون جزءا .
(١٥) كتاب الاختلاف في عدد الأعشار ، جزء .
(١٦) كتاب الرسالة إلى أصحاب الأنطاكي في تصحيح المد لورش ، ثلاثة أجزاء .
(١٧) كتاب تفسير القرآن[1] ، خمسة عشر مجلدا .
(١٨) كتاب اختصار أحكام القرآن ، أربعة أجزاء .
(١٩) كتاب الوقف على كلا وبلى[2] ، جزآن .
(٢٠) كتاب الياءات المشددة في القرآن والكلام ، جزء .
(٢١) كتاب الحروف المدغمة ، جزآن .
(٢٢) كتاب هجاء المصاحف[3] ، جزآن .
(٢٣) كتاب الهداية في الوقف على كلا .
(٢٤) كتاب الإدغام الكبير ، جزء .
(٢٥) كتاب مشكل غريب القرآن ، ثلاثة أجزاء . ذكر ابن الجزري عن مكي قوله : وألفت مشكل الغريب بمكة سنة تسع وثمانين وثلاثمائة[4] .
(٢٦) كتاب قسمة الأحزاب .
(٢٧) كتاب المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره .
(٢٨) كتاب مشكل معاني القرآن .
(٢٩) كتاب شرح التمام والوقف ، أربعة أجزاء .
(٣٠) كتاب انتخاب الجرجاني في نظم القرآن وإصلاح غلطه ، أربعة أجزاء .
(٣١) كتاب الاختلاف بين قالون وأبي عمرو ، جزء .
(٣٢) كتاب الاختلاف بين قالون وابن كثير ، جزء .
(٣٣) كتاب الاختلاف بين قالون وابن عامر ، جزء .

---

(١) يسميه القفطي « تفسير مشكل المعاني والتفسير » انظر انباه الرواة ٣١٨/٣
(٢) انظر بروكلمان ، يذكر انه في : جوتا ٥٤٨ ، الفاتح ٦٨ ، قوله ١٧/١
(٣) يسميه القفطي « علل هجاء المصاحف » انظر انباه الرواة ٣١٨/٣
(٤) طبقات القراء ٣١٠/٢

(٣٤) كتاب الاختلاف بين قالون وعاصم، جزء •

(٣٥) كتاب الاختلاف بين قالون وحمزة، جزء •

(٣٦) كتاب الاختلاف بين قالون والكسائي، جزء •

(٣٧) كتاب التبيان في اختلاف قالون وورش، جزء •

(٣٨) كتاب شرح رواية الأعشى عن أبي بكر عن عاصم، جزء •

(٣٩) كتاب اختصار الألفات، جزء •

(٤٠) كتاب شرح الفرق لحمزة وهشام، جزء •

(٤١) كتاب شرح اختلاف العلماء في قوله تعالى: (وما يعلم تأويله إلا الله)، جزء •

(٤٢) كتاب الاستيفاء في قوله عز وجل: (إلا ما شاء ربك) في هود، جزء •

(٤٣) كتاب الاختلاف في الرسم من « هؤلاء » والحجة لكل فريق، جزء •

(٤٤) كتاب بيان إعجاز القرآن •

(٤٥) كتاب فيه شرح اختلاف العلماء في الوقف على قوله تعالى: (يدعو لمن ضرّه أقرب من نفعه)، جزء •

(٤٦) كتاب شرح قوله تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)، جزء •

(٤٧) كتاب شرح قوله تعالى: (ولقد ذرأنا لجهنم) الآية، جزآن •

(٤٨) كتاب فيه أصول الظاء وذكر مواضعها في القرآن، جزء •

(٤٩) كتاب الاختلاف بين أبي عمرو وحمزة، جزء •

(٥٠) كتاب اختصار الإدغام الكبير على ألف، با، تا، ثا، جزء •

(٥١) كتاب شرح الراءات على قراءات ورش وغيره، جزء •

(٥٢) كتاب اتفاق القراء، جزء •

(٥٣) كتاب اختلاف القراء في ياءات الإضافة وفي الزوائد، جزء •

(٥٤) كتاب اختصار الوقف على: كلا وبلى ونعم، جزء •

(٥٥) كتاب منع الوقف على قوله: (إن أردنا إلا الحسنى)، جزء •

(٥٦) كتاب شرح الاختلاف في قوله: (ماجعل الله من بحيرة)، جزء •

(٥٧) كتاب شرح معنى الوقف على: (لا يحزنك قولهم) •

(٥٨) كتاب شرح قوله تعالى : (من نسائكم اللاتي) ، جزء .
(٥٩) كتاب دعاء ختمة القرآن .
(٦٠) كتاب ما أغفله ابن مسرة في قراءات شاذة ، جزء .
(٦١) كتاب الاختلاف في قوله تعالى : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا) ، جزء .
(٦٢) كتاب شرح قوله تعالى : (شهادة بينكم ..) الآيات الثلاث ، جزء .
(٦٣) كتاب شرح قوله تعالى : (فلما تراءى الجمعان) ، جزء .
(٦٤) كتاب فرش الحروف المدغمة ، جزآن .
(٦٥) كتاب الوقف والابتداء[١] .
(٦٦) كتاب الزاهي في اللمع الدال على قراءة نافع[٢] .
(٦٧) كتاب به وجوه كشف اللبس التي لبّس بها أصحاب الأنطاكي في المد لورش .

(ب) ((في علوم اللغة)) :

(٦٨) كتاب الزاهي في اللمع الدالة على مشتملات الإعراب ، أربعة أجزاء .
(٦٩) كتاب دخول حروف الجر بعضها مكان بعض ، جزء .
(٧٠) كتاب منتخب كتاب الإخوان لابن وكيع ، جزآن .
(٧١) كتاب المنتقى في الأخبار ، أربعة أجزاء .
(٧٢) كتاب الرياض ، مجموع في خمسة أجزاء .
(٧٣) كتاب في مسائل الإخبار بالذي وبالألف واللام .
(٧٤) كتاب فيه الوصول إلى تذكرة كتاب الأصول لابن السراج في النحو ، جزء .
(٧٥) كتاب التذكرة لأصول العربية ومعرفة العوامل ، جزء .
(٧٦) كتاب شرح حاجة وحوائج وأصلها ، جزء .
(٧٧) كتاج شرح العارية والعرية ، جزء .
(٧٨) كتاب معاني السنين القحطية والأيام ، جزء .

---

(١) تفرّد بذكره بهذا العنوان ابن شاكر الكتبي وابن قاضي شهبة ، انظر عيون التواريخ ١٣/٢١٨/أ ، وطبقات ابن قاضي شهبة ٥٠٤ .
(٢) تفرد بذكره هكذا ابن قاضي شهبة انظر كتاب الطبقات له ٥٠٤ .

(ج) « في الفقه وعلم الكلام وغيره » :

(٧٩) كتاب فرض الحج على من استطاع إليه سبيلا ، جزء .
(٨٠) كتاب إيجاب الجزاء على قاتل الصيد في الحرم خطأً في مذهب مالك والحجة على ذلك ، جزء .
(٨١) كتاب بيان العمل في الحج أول الإحرام ، جزء .
(٨٢) كتاب مناسك الحج .
(٨٣) كتاب بيان الصغائر والكبائر ، جزآن .
(٨٤) كتاب الاختلاف في الذبيح من هو ؟ ، جزء .
(٨٥) كتاب تنزيه الملائكة من الذنوب وفضلهم على بني آدم ، جزء .
(٨٦) كتاب اختلاف العلماء في النفس والروح ، جزء .
(٨٧) كتاب المدخل إلى علم الفرائض ، جزء .
(٨٨) كتاب فيه الرد على الأئمة فيما يقع في الصلاة من الخطأ واللحن في شهر رمضان وغيره ، جزء .
(٨٩) كتاب التهجد في القرآن ، أربعة أجزاء .
(٩٠) كتاب ما أغفله القاضي منذر وَوهم فيه في كتاب الأحكام ، جزآن .
(٩١) كتاب الترغيب في النوافل ، جزء .
(٩٢) كتاب الترغيب في الصيام ، جزء .
(٩٣) كتاب منتقى الجوهر في الدعاء ، جزء .
(٩٤) كتاب الموعظة المنبهة ، جزء .
(٩٥) كتاب إسلام الصحابة ، مختصر جزء .
(٩٦) كتاب المبالغة في الذكر .
(٩٧) كتاب تحميد القرآن وتهليله وتسبيحه .
(٩٨) كتاب الواعي لمجرد علم المواريث[1] .

---

(١) تفرّد بذكره الوافي بالوفيات ٦٨/ب ، وعيون التواريخ ١٣/٢١٨/أ ، وكشف الظنون ١٤٣٢ ، وعقود الجوهر ٢٩٩

(٩٩) كتاب الممتع في تعبير الرؤيا[١] .

(١٠٠) كتاب الإشارة في تعبير الرؤيا[٢] .

ويلاحظ أن أكثر مؤلفات مكي أجزاء أي أن الجزء لا يتجاوز ثلاث ملازم من مطبوعاتنا هذه الأيام ، غير أن مفهوم الكتاب لا يمكن حصره بحجمه وإنما يكون بقيمته ، وأحسب أن عنوانات كتب مكي تدل على ما لها من تلك القيمة ، ولا اعتداد بحجمها .

وبعض المؤلفين أوفى حظاً من سواهم من حيث تداول الناس مؤلفاتهم وشهرتها ، سواء في حياتهم وبعد مماتهم ، ومكي من هؤلاء المحظوظين . فقد ذكر ابن خير بسنده كثيرا من كتب مكي التي قرأها على حفيده أبي عبد الله جعفر بن محمد بن مكي. وذكر أيضا قراءته فهرسة مكي نفسه بكتبه على حفيده المذكور[٣]. وذكر ابن الجزري كتاب التبصرة ، أخبره به أبو العباس أحمد الحَراني بسنده إلى المؤلف[٤] . ولاتزال مصنفات مكي موضع اهتمام الباحثين والعلماء إلى زماننا هذا .

---

(١) تفرد بذكره هدية العارفين ٢/٤٧١ ، وإيضاح المكنون ٢/٥٥٤

(٢) لم يذكره سوى إيضاح المكنون ١/٨٥ .

(٣) فهرست ابن خير ٤٠ ، ٤١-٤٢ ، ٥١ ، ٦٧ ، ٧٦ ، ٣٦٢ ، ٤٢٩

(٤) النشر في القراءات العشر ١/٦٩

جـ - التّعريفُ بالكِتَاب

« ا » منهج مكي في كتاب الكشف :

إن كتاب « الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها » من أواخر كتب مكي تأليفا إذ جاء في قوله عنه : « ثم تطاولت الأيـام وترادفت الأشغال عن تأليفه وتبيينه ونظمه إلى سنة أربع وعشرين وأربع مائة فرأيت أن العمر قد تناهى والزوال من الدنيا قد تدانى فقويت النية في تأليفه وإتمامه خوف فجأة الموت وحدوث الفوت وطمعا أن ينتفع به أهل العـلم مـن أهل القرآن وأهل العـلم من طلبـة القراءات »(١) . وإذ كان الأمر كذلك فإن منهج مكي فيه وفي التأليف بعامة لا بدّ من أن يكون أوضح من سواه من كتبه التي تقدّم زمن تأليفها . فهل هذا متأكّد منه مقطوع به ، وما الحجة عليه ؟

(آ) الخطة التاليفية :

ولهذا فإنني رأيت اختيار هذا العنوان أبحث تحته هذه الظاهرة في منهج مكي في تأليف الكشف بنحو خاص وفي تأليفه وخطته فيه بنحو عـام . وإنني ههنا أعيد بعضا من كلام مكي نفسه على تأليفه وخطته فيه . ففي كتاب « التبصرة » يقول : « جمعت في هذا الكتاب من أصول ما فرّق في الكتب ، وقربت البعيد فهمه على الطالب ، واعتمدت على حذف التطويل والإتيان بتمام المعاني مع الاختصار ، ليكون تبصرة للطالب وتذكرة للعالم .. أخليت هذا الكتاب من كثرة العلل ، وجعلته مجردا من الحجة ، وربما يسرت إلى اليسار من ذلك لعلة توجبه وضرورة تدعو إليه ، وقللت فيه الروايات الشاذة وأضربت عن التكرار ليقرب حفظه على من أراد ذلك ولولا ما فرق في الكتب مما نحن جامعوه ، وما عدم فيه القول مما نحن قائلوه ، وما صعب مأخذه على الطالب مما نحن مقربوه ، وما طوّل فيه الكلام لغير كثير فائدة لما نحن موجزوه ومبينوه ، لكان لنا عما قصدنا إليه شغل ، وفيما قد ألفه من تقدمنا من السلف الصالح رضي الله عنهم كفاية ومقنع .. فيجب أن تعلم أيها الناظر في هذا الكتاب أني ربما قدمت المتأخر من الحروف المختلف فيها لتصنيفه إلى نظائره فيكون

---

(١) الكشف ٢/١ .

ذلك أسهل للحفظ وأقرب للمتعلم ثم لا نعيده في موضعه استغناء بذكـره متقدما وسأنبه على ما أمكنني منه مما نقلته من سورة إلى سورة أني قد ذكرته في موضع كـذا »(١) .

ويقول في « باب ما جرى في التسهيل على غير قياس » : « أعلم أني إن ما أذكره في هذا الباب نبذ مما روي في القرآن خاصة عـن القراء لتقف عليه ، وأدع ما لم يكن في القرآن »(٢) .

ويقول في « اختلافهم في النون الساكنة والتنوين وإظهار الغنة » : « اعلم أن هذا الباب كثير الاضطراب ، وأنا أذكر لك ما قرأت به لتقف عليه إن شاء الله »(٣) .

ويقول في مقدمة كتاب آخر : « هذا كتاب جمعت فيه تفسير المشـكل من غريب القرآن ، على الإيجاز والاختصار مع البيان »(٤) .

وأبلغ مما تقدّم في ظاهرة التأليف عند مكي قوله في مقـدمة كتاب ثالث : « ولقد تصورت في نفسي تأليف هذا الكتاب وترتيبه من سنة تسعين وثلاث مائة ، وأخذت في نفسي ما يخطر ببالي منه في ذلك الوقت ثم تركته إذ لم أجد معينا فيه من مؤلف سبقني بمثله قبلي ، ثم قوى الله سبحانه وتعالى النية وجدد البصـيرة في إتمامه بعد نحو من ثلاثين سنة فسهل جلّ ذكره أمره ويسر جمعه وأعان عـلى تأليفه »(٥) .

ويجب أن نذكر أن ما تقدم نقله من نصوص في الخـطة التأليفية سـواء في « التبصرة » أو سواه من كتبه التي استفدنا من نصوصها إنما هي كتب بينها وبين كتاب الكشف بضع عشرات من السنين ، ومن ثم فإننا زاعمون أن الخطة التأليفية على هذا النحو الذي دلّلنا عليه وأكّدناه إنما كانت سِمة في شـخص مكي ظهرت في كتبه ، ولذا فإن كتاب الكشف قمين بأن يتسم بها وتظهر عليه . ومن ذلك كلامه فيه

---

(١) التبصرة ٢/ب ـ ٣/١ .
(٢) التبصرة ٣١/١ .
(٣) التبصرة ٣٧/ب .
(٤) تفسير المشكل من غريب القرآن ٢/١ .
(٥) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ٣/١ .

على خطة تأليفه بعد أن ذكر كتاب التبصرة قوله : « كنت قد ألفت بالمشرق كتابا مختصرا في القراءات السبع في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وسميته كتاب التبصرة ، وفيما اختلف فيه القراء السبعة المشهورون ، وأضربت فيه عن الحجج والعلل ومقاييس النحو في القراءات واللغات طلبا للتسهيل وحرصا على التخفيف ، ووعدت في صدره أني سأؤلف كتابا في علل القراءات التي ذكرتها في ذلك الكتاب كتاب التبصرة »[1] . وقد ذكر هذا في كتاب التبصرة قوله : « قويت نيتي في كتاب قد علقت أكثره أعمله لنفسي تذكرة إن شاء الله ، أذكر فيه كشف وجوه القراءات واختيار العلماء في ذلك ومن قرأ بكل حرف من الصدر الأول وأقاويل النحويين وأهل اللغة لا أخرج فيه عن شرح ما ذكرته في هذا الكتاب من الاختلاف أسميه كتاب الكشف عن وجوه القراءات »[2] . لكنه وضّح خطة تأليف كتاب الكشف أكثر بقوله : « وهأنذا حين أبدأ بذلك أذكر علل ما في أبواب الأصول دون أن أعيد ذكر ما في كل باب من الاختلاف إذ ذاك منصوص في الكتاب الذي هذا شرحه وأرتب الكلام في علل الأصول على السؤال والجواب ثم إذا صرنا إلى فرش الحروف ذكرنا كل حرف ، ومن قرأ به وعلته وحجة كل فريق ، ثم أذكر اختياري في كل حرف وأنبه على علة اختياري لذلك كما فعل من تقدمنا من أئمة المقرئين »[1] . ووصف هذا الكتاب وكتاب التبصرة فقال : « فهذا الكتاب كتاب فهم وعلم ودراية والكتاب الأول كتاب نقل ورواية »[3] .

فالتأليف عنده تنظيم للمادة ، وحصر للمتشابهات والنظائر وعناية تامة بمعالجة المسائل مجموعة ، ونفي للاضطراب في البحث ، وتخيّر لما يجب أن يكون ، وتبويب لموضوعات البحث والمسائل ، واجتناب للاستطراد ، وتبيين لفوائد عرضت الإشارة إليها قبل ثم ذكرت في موضعها ، وسوى ذلك مما تبيّنّاه في النصوص التي تقدم نقلها ، وما يمكن أن تتبيّنه أيضا لدى مقارنة كتاب « الكشف » بغيره من كتب الفن .

---

(١) الكشف ٢/أ .
(٢) التبصرة ٢/ب .
(٣) الكشف ٢/ب .

(ب) « عنوانه » :

وأما عنوان كتاب الكشف ، وهو « الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها » فلا خلاف فيه ، فمكي يسميه كذلك في الكتاب نفسه وفي كتابيه « التبصرة » و « الهداية إلى بلوغ النهاية »[1] ، وإن كان في هذين الأخيرين يقتصر من العنوان على « الكشف عن وجوه القراءات » فذلك مألوف في التسمية إذا كان الاسم مركبا فيكتفى بذكر بعضه مما يدلّ عليه تماما . وابن الأنباري وياقوت ينفردان من كل المترجمين بتسميته « البيان عن وجوه القراءات »[2] . وينفرد القفطي بتسميته « الكشوف عن وجوه القراءات »[3] . وسوى هؤلاء ، فإن اسم الكتاب عندهم على ماذكرت قبل ، ولا كبير خطر في هذا الخلاف يقتضي مناقشته ، ذلك لأن مكيا نفسه يسميه « الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها » سواء في الكتاب نفسه أو في بعض كتبه التي ذكرناها ، وكذلك المقرىء المحدّث أبو بكر ابن خير يسميه ، وقد حدّثه به أبو عبد الله جعفر بن محمد حفيد مكي مناولة منه له في أصل جدّه ، فقال : « حدثني به أبي رحمه الله وأبو مروان عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن سراج كلاهما عن جدي مؤلفه رحمه الله . وحدثني به إجازة الشيخ أبو محمد ابن عتاب رحمه الله عن أبي محمد مكي مؤلفه » . لكنه يقدّم لفظ « حججها » على لفظ « عللها » ويضيف بعدها قوله : « ومقاييس النحو فيها »[4] . وتعليل ذلك عندي أن بعض مَنْ كتب هذا الكتاب عن مكي إنما تخيّر هذا التغيير في العنوان ، أو أن مكيا نفسه كان قد سمّى كتابه في أول الأمر على نحو ما ذكر ابن خير أو على نحو ما جاء عند ابن الأنباري ، وياقوت الذي يمكن أن يكون قد نقل عن ابن الأنباري ، ثم إذا ما راجع مكي الكتاب ، ولعله نسخ منه نسخاً أُخر ، غيَّر في العنوان كما يمكن أن يغير في متن

---

(١) الكشف ٢/أ ، والتبصرة ٢/ب ، والهداية إلى بلوغ النهاية ٤/ب .
(٢) نزهة الألباء ٣٤٧ ، ومعجم الأدباء ١٩/١٦٨
(٣) أنباه الرواة ٣/٣١٧
(٤) فهرست ابن خير ٤٣

الكتاب ، على المألوف عند أغلب المؤلفين والمصنفين . وفي كل حال فليس في الأمر ما يقتضي أكثر من هذه الملاحظات .

(جـ) « أبواب الكتاب وعنواناتها » :

ولا بدّ أن في توالي أبواب الكتاب على نحو دون آخر دلالة بعينها ، كما أن في إدراج فصول في بعض هذه الأبواب ما يعين على تقويم مادة الكتاب ومسائله وموضـوعه .

وكذلك العنوانات ، وإن هي اتفقت في كثير مـن كتب الفن ، فإن في تخيّر عبارة بعضها ما يقطع على تصوّر الموضوع عند المؤلف ومنهجه في تناوله .

وإذا نظرنا في توالي هذه الأبواب والفصول وجدنا أنها مسائل منظمة جعلت بعضها مع بعـض ، واستُوفيت فروعها ، واستدركت جزئياتها ، وأشبعت بحثـا ودراسة ، وقرنت الأشباه فيها إلى الأشـباه ، والنظائر إلى النظائر ، وأن بعـض الفصول في بعض الأبواب إنما جيء بها تيسيرا للبحث ، وترتيبا لمادته ، وتوضيحا لبعض المسائل التي تحتاج إلى بيان ودقة ، ووجـدنا أيضا أن تنظيم مكي لهذه الأبواب في « الكشف » وكذلك في التبصرة إنما يخالف كثيرا من الأئمة المعدودين فيما ألّفوه من الموضوع نفسه . وأغلب الظن أنه فعل ذلك تحقيقا ، لما وقفنا عليه فيما نقلنا عن بعض كتبه من أنه كان يتصوّر الموضوع في نفسه ، وربما مضى عليه ، وهو كذلك ، سنوات ، ويأخذ في نفسه ما يخطر بباله ، ويبحث فيما أُلّف وصُنّف قبله في الفن[1] . فإن ذلك غاية ما يحتاج إليه المؤلف المجتهد سواء على عهد مكي أو قبله أو بعده .

(د) « مصـادره » :

وأول مصادر مكي في هذا الكتاب هو كتاب « التبصرة في القراءات » ، وقد ذكر مكي ذلك فيه قوله: « قويت نيتي في كتاب قد علقت أكثره أعمله لنفسي تذكرة إن شاء الله ، أذكر فيه كشف وجوه القراءات ، واختيار العلماء في ذلك ، ومن قرأ بكل حرف من الصدر الأول ، وأقاويل النحويين وأهل اللغة ، لا أخرج فيه عن شرح

---

(١) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ٣/أ .

ما ذكرته في هذا الكتاب من الاختلاف »[1] • وذكر ذلك أيضا في غير ما موضع في كتاب الكشف نفسه سواء في مقدمته أو في تضاعيفه على ما تقدم من الإشارة إلى ذلك قبل • فمن ذلك أيضا قوله : « وهأنذا حين أبدأ بذلك أذكر علل ما في أبواب الأصول دون أن أعيد ذكر ما في كل باب من الاختلاف إذ ذاك منصوص في الكتاب الذي هذا شرحه » • وذكر كتاب الإبانة فقال : « يجب لمن كتب هذا الكتاب أن يجعله جزءا في آخره ، فبه تتم الفائدة ، وذكرت في الكتاب الذي هذا شرحه كتاب التبصرة أسماء القراء ورواتهم •• وكذلك ذكرت في الكتاب الموجز فأغناني ذلك عن أن أعيده في هذا الكتاب •• فلا غنى لمن كتب كتابنا هذا واعتمد عليه من الكتاب الأول الذي هذا شرحه كتاب التبصرة »[2] •

فكتاب « التبصرة » أول مصادره في كتاب « الكشـف » وأُمها • وأما مصادره الأخرى ، سواء التي جاء ذكرها في تضاعيف الكتاب ، والتي لم تذكر ، ويمكن الوقوف عليها لدى العرض لمادة الكتاب ، ونشاطه التأليفي ، ولِما اضطلع به من العلوم ، فهي نوعان : مصادر أولية لها حكم كتاب « التبصرة » في تكوين مادة « الكشف » وكذلك جوانب من منهجه وبعض أبوابه ، ومصادر ثانوية لم يكن بدّ منها ، لأنها أسعفت مادة المصادر الأولية بما تحتاج إليه ، وذلك نحو بعض علوم القرآن والحديث كالتفسير والمناسبة[3] • فهي لا بد منها في تناول البحث في توجيه القراءة ، وإن لم تكن تدخل في أصل مادتها الأولى •

فمن المصادر الأولية ما سمّى مكيٌّ أصحابه وكرّر ذلك أو سمّى بعضا منهم • فقر ذكر أبا عبيد القاسم بن سلام وعبد الله بن مسلم بن قتيبة وأبا حاتم سهل ابن محمد وأبا جعفر محمد بن جرير الطبري وأبا بكر أحمد بن موسى ابن مجاهد[4] •

---

(١) التبصرة ٢/ب .

(٢) الكشف ٢/أ-ب .

(٣) الكشف ٤/أ ، ٥/أ-ب ، ٥٩/ب ، فهذه المواضع وسواها في الملاحظتين التاليتين هي نماذج حسب .

(٤) الكشف ٦/أ-ب ، ٢١/ب ، ٥١/أ ، ٥٧/أ ، ٨٥/أ-ب .

ومنه ما كان مصدرا شفويا ، تلقّى معارفه تلقيا ، فقد ذكر أنه قرأ على أبي الطاهر إسماعيل بن خلف وأبي الطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون[1] .

ومنه ما لم يذكره في كتابي « الكشف » و « التبصرة » وذكره في كتاب « الإبانة عن معاني القراءات » الذي جعله بآخر الكشف . فقد ذكر هناك إسماعيل ابن إسحاق القاضي وأبا عبيد القاسم بن سلام وأبا حاتم سهل بن محمد وأبا جعفر محمد بن جرير الطبري وأبا بكر أحمد بن موسى ابن مجاهد[2] . ومكي إذ يذكر هؤلاء يذكر كتبهم في الفن التي اعتمدها مصادر فيما بحث وعالج . واتخاذ مكي مثل هذه المصادر لمثل هؤلاء الأئمة له دلالة أكثر من كونها مصادر يقتضيها البحث والدرس ، ذلك لأنها مصادر أئمة متقدمين أغلبها قد فُقد ، ولأن مؤلفيها أقرب عهدا بمسائل بحوثها ، وهم أئمة معدودون في علوم هذا البحث .

ولمكي اختيارات في بعض الموضوعات ، وقد أشرنا إلى ذلك في ثَبَت مؤلفاته . فله « منتخب الحجة في القراءات » لأبي علي الفارسي ، وعنوان الأصل هو « الحجة في علل القراءات السبع » ، فموضوعه هو موضوع كتاب « الكشف » . وأعتقد أن إحاطة مكي بهذا الكتاب وسواه من كتب الفن جنّبته في تأليف « الكشف » ظاهرة الاستطراد المستشرية في « كتاب الحجة » وسواه من الكتب المطولة التي تصيبها تلك الظاهرة فتجعلها مضطربة في ذوق أهل زماننا ، وتذهب باتساق أفكارها وتسلسل بحثها ، وجنّبته غير ذلك من عيوب الاستطراد .

فتلك هي مصادر مكي في كتاب « الكشف » سواء الأولية منها والثانوية ، التي رجع إليها في أصولها ، التي نقل عنها واهتدى بها ، والتي وقف عليها واستأنس بها .

(هـ) ((اسلوبه فيه)) :

وأما أسلوبه في كتاب « الكشف » فالحق أن مكيا قد وضع خطة محكمة لتأليف هذا الكتاب ، وطبّقها والتزم بها إلى نهاية الكتاب ، فقد قال في ذلك :

---

(١) الكشف ٦/ب ، ١١/ب ، ٢١/ب ، ٥٠/أ ، ٥١/ب ، ٥٧/أ .
(٢) الإبانة ٢/ب ، ٣/أ ، ٤/ب ، ٥/أ ، ٧/أ ، ٩/أ .

« وهأنذا حين أبدأ بذلك أذكر علل ما في الأبواب دون أن أعيد ذكر ما في كل باب من الاختلاف إذ ذاك منصوص في الكتاب الذي هذا شرحه ، وأرتب الكلام في علل الأصول على السؤال والجواب ، ثم إذا صرنا إلى فرش الحروف ذكرنا كل حرف ، ومن قرأ به وعلته وحجة كل فريق ، ثم أذكر اختياري في كل حرف ، وأنبّه على علة اختياري لذلك كما فعل من تقدمنا من أئمة المقرئين »(١) .

وقد مضى الكلام على تبويبه للكتاب وقرنه موضوعاته بعضها إلى بعض ، ودلالة ذلك وفائدته .

فأما بحثه لفكرة من أفكاره أو موضوع من موضوعاته فيظهر فيه التزامه بنظام أصل الكتاب ، أعني كتاب التبصرة ، بيد أن تقيّده بخطة السؤال والجواب في كل الكتاب جنّبه كل عارض يصيب البحث ، وجعله يقصر الكلام على المسألة المتناولة دون استطراد . فمن ذلك قوله في الاستعاذة : « قال أبو محمد : إن سأل سائل فقال : لأي شيء جيء بالاستعاذة في أول الكلام ؟ » فهذا سؤال محكم متعين الفكرة . يجيب عنه مكي بقوله : « فالجواب أن الاستعاذة دعاء إلى الله جل ذكره واستجارة به من الشيطان وامتثال لما أمر به نبيه عليه السلام .. » ثم يفصّل جوابه بما يحتمله من شرح وشواهد ، ولا يكاد يستطرد إلى ما لم يتضمنه السؤال إلا في القليل النادر ، كأن يبحث في جانب من اللغة يستعين به على توجيه الإجابة وإيضاح المراد بها(٢) .

وهو يحيط بالمسألة ويستقصي كل ما يلزم عنها ، فمن ذلك كلامه على إشباع كسرة الكاف فيما روي من قراءة ورش ، فقال : « فإن سأل سائل فقال : ما العلة التي أوجبت ذكرك لكسر الكاف من « ملِك » دون ياء وبضم الدال من « نعبدُ » دون واو ، ولِمَ خصصت هذين الأصلين ؟ فالجواب أنه إنما ذكرت ذلك لأن بعض أهل مصر والمغرب روى عن ورش أنه يشبع الكسرة إذا أتت بعدها ياء حتى يتولّد من الكسرة ياء .. »(٣) . وهو في سوى ذلك إنما يجيب عما يسأله

(١) الكشف ١/أ-ب .
(٢) الكشف ٢/ب .
(٣) الكشف ٦/ب .

الجـواب الشـافي ، دون أن يقحم عليه شيئا يخـل بالخطة التي أخـذ بها نفسه إلى آخر الكتاب •

ومقتضى هذه الخطة أن تكون الجملة ذات تركيب معين ، بعيد من التطويل ، متجاف عن التأنق ، شديد الصلة بمباشرة المسألة أو البحث • فمن ذلك كلامه على أحكام الراء وعللها قوله : « اعلم أن الراءات أصلها التغليظ والتفخيم ما لم تنكسر الراء فإن انكسرت غلبت الكسرة عليها فخرجت عن التفخيم إلى الترقيق وذلك نحو : مررت بساتر وغافر وشبهه ، والدليل على أن أصلها ••»[1] • ومنه كـلامه على الإشارة إلى أصل حركة الحرف عند الروم والإشمام قوله : « فإن قيل : هل تُسمع هذه الإشارة أو لا تسمع ، وهل تُرى أو لا ترى ، وهل نحكم على الحرف الأول الذي معه الإشارة بالضم أو بالكسـر ؟ فالجواب أن الإشارة إلى الضم في هذه الأفعال تُسمع وتُرى في نفس الحرف الأول •• »[2] •

وكان مكي يحتاط لكل ما يخلّ بالموضوع ، فلا يختصر فيبهم ويلبس ، ولا يطيل فيبتعد ويغرب ، وقد بيّن ذلك في آخر الكتاب فقال : « وقد أتينا على ما شرطنا واختصرنا الكلام في العلل غاية ما قدرنا من غير أن نكون قد أخللنَا بعلة أو تركنا حجة مشهورة ، وأوجزنا العلل خوف التطويل ، واختصرنا ذكر قراءة التابعين ومن وافقهم لمن ذكرنا من القراء لئلا يطول الكتاب فيعجز عن نسخه ويحدث الملل في قراءته »[3] •

فجملته واضحة كل الوضوح ، وهي أيضا متماسكة قوية ، وبها جمال مبعثه وضوحها ، وهي تؤدي المعنى من أقرب سبيل ، تجانب التعقيد ، وتقترب من اليسر •

---

(١) الكشف ٥٢/ب .
(٢) الكشف ٥٨/أ .
(٣) الكشف ٢٤٦/ب .

د - تحقيق الكتاب

نسخ الكتاب المخطوطة :

أ ــ توافر لي من كتاب « الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها » أربع نسخ ، فيما يلي الكلام عليها والتعريف بها ، تقويما لها ، وتبيينا لترتيب اعتمادها في تحقيق الكتاب . وأبدأ بأقلها حظاً في ذلك ، وهي :

١ ــ نسخة « دير الأسكوريال ــ إسبانيا » رقمها هو : « 1325 - 2 a »وهي في : ١٩٨ ورقة ، وفي كل صفحة ٢٥ سطرا ، وفي كل سطر ١٣ كلمة .

وهي مخرومة من أولها مقدار ثماني ورقات ، إذ تبدأ بصفحة قبل « باب المد وعلله وأصوله » وذلك بقوله : « وشبهه هي الاسم لكن لمّا قلّت حروف الاسم فكان على حرف واحد ، وذلك الحرف خفي ضعيف قوّوه بزيادة واو فقالوا : بهو وعليهو ، فهذا هو الأصل . وحجة من وصل الهاء بياء إذا كان قبلها ياء وهو ابن كثير أنه كسر الهاء للياء التي قبلها لخفاء الهاء ، فلما كسرها أبدل من الواو التي زيدت لتقوية الهاء ياء .. » .

وهي أيضا مخرومة في ثلث سورة البقرة الأول بمقدار تسع ورقات ، ويبدأ الخرم من حيث كلام المؤلف ، لدى اختياره وجه قراءة قوله تعالى : (أسارى تفادوهم) إذ قال : « .. وإنما أسروا أسراء هؤلاء وأسراء هؤلاء والاختيار أسارى على فعالى ، وتفدوهم بغير ألف لما ذكرنا من العلة ولأن القراءتين قد ترجعان إلى معنى ولأن أكثر »[١] .

وينتهي لدى كلامه على « باب تفسير أقسام التقاء الساكنين » في وسطه قبل شرطه « الرابع » إذ قال : « كانت قبل المحذوف تدل عليه لأن الفتحة تدل على الألف والضمة تدل على الواو والكسرة تدل على الياء ، ولو انفتح ما قبل الواو والياء لم يحذف الأول لالتقاء الساكنين .. »[٢] .

---

(١) الكشف ، النسخة المذكورة ٥٥/أ .

(٢) الكشف ، النسخة المذكورة ٥٥/ب .

وتنتهي هذه النسخة بقول المؤلف : « وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين » .

وأدنى ذلك هذه العبارة : « تمّ كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع في آخر ليلة من شهر رجب الفرد سنة سبع وسبعمائة والحمد لله وحده » .

وليس عليها ولا بحواشيها ما يشير إلى ناسخها سوى ما بوجه الورقة الأولى من ثلاثة أسطر صغيرة باللغة الإسبانية أرجح أنها بخط قيّمي المكتبة إذ فهرسوا الكتاب ، وبأسفلها رقم الكتاب ورمزه .

وبآخر صفحة منها بأسفلها ، بزاويتها اليسرى عبارة باللغة الفارسية في ثلاثة أسطر صغيرة أيضا .

وأما خطها فمشرقي منقوط كله ، وهو نسق واحد من أولها إلى وجه الورقة الثالثة والعشرين ، ومشكول شكلا تاما في هذه الأوراق ، ومن الورقة الثالثة والعشرين إلى آخر الكتاب نسق آخر واحد ، ولكنه يشبه خط الأوراق المذكورة إلى حدّ ، أُغلّب أن ناسخها جميعا واحد ، إذ أن قاعدته في الكتابة لم تختلف . والخط في هذا القسم من النسخة مشكول في بعض الألفاظ شيئا قليلا ، والفرق بين الخطين واضح في اللوحين النموذجين من هذه النسخة المثبتين في موضعهما من المقدمة . وهو خط القرنين السابع والثامن الهجريين ، بيّن الحروف والقاعدة في رسمها .

ولما كانت هذه النسخة مباينة العبارة في كثير من المواضع لعبارة النسخ الثلاث الأخرى ، ولكثرة ما بها من سقط ، فقد اقتصرت فائدتها على الاستئناس بها دون اعتمادها في النسخ المقابلة .

ورمزت لها في التحقيق بحرف « ل » .

٢ ـ نسختا الرباط ـ المغرب الأقصى ، وكلتاهما بالخزانة العامة هناك .

فأولاهما ذات الرقم : ك 2689 ، وهي تتضمن الجزء الثاني من الكتاب ، ويبدا من أول سورة الأعراف إلى آخر الكتاب .

وعدد أوراقها ١٤٥ ، في كل صفحة ٢٣ سطرا ، وفي كل سطر ١٣ كلمة . وهي في أصل النسخة على رَقّ غزال ، وخطها مغربي أندلسي جميل . ويبدو لي

أنها متقدمة تاريخ النسخ لما في ورقات التصوير من تآكل أطرافها وآثار الأرضة . بيد أنها خالية من تاريخ النسخ واسم الناسخ .

وتبدأ بورقة ، بوجهها العنوان واسم المؤلف بعد ذكر أنه السفر الثاني ، وأدنى العنوان وفوقه ، وفي الحواشي بعض العبارات غير البينة إلا بعض أحرف من ألفاظ لا تفي بغرض ولا تهدي إلى شيء .

ولكنها على نقصها أفادت في المقابلة كثيرا ، ذلك لأن عبارتها توشك أن تكون عبارة النسخة الأم ، بل إن مواضع كثيرة ضبطت عنها ، وقوّمت بها ، وهو ما تترجمه حواشي التحقيق ، بيد أن في مواضع منها أيضا خرْما ، فضلا عن نقصها ، حملني على جعلها النسخة الثالثة في المقابلة والتحقيق .

وإن مشابهتها للنسخة الأم بل مماثلتها لها ، فضلا عما لميزات النسخة الأخرى ، مما سيأتي ذكره بعد ، شجعني على أن أقول إن الأصول التي كتبت عنها هذه النسخ هي أقرب الأصول إلى نسخة المؤلف ، إن لم تكن هي نسخة المؤلف أو النسخة التي كتبت عنها تلك الأصول ، ذلك لائتلاف وجوه عباراتها في مناحيها الكبرى . ولا اعتداد بالسقط أو الخرم في ذلك ، كما أنه لا اعتداد بمباينة الألفاظ بعضها عن بعض على ما يظهر في الحواشي لأنها مباينة ضئيلة لا قيمة لها . وذلك نحو ما جاء في حواشي الورقات التالية الذكر كنماذج على ما نقول وهي :

الورقة ١٢٨/ب : ٧ ، ١٠ ، ١٢٩/أ : ٢ ، ٣ ، ١٢٩/ب : ١ ، ٥ ، ١١ ، ١٣٦/أ : ٦ ، ١٣٦/ب : ٣ ، ٦ .

ورمزت لها في التحقيق بحرف « ر » .

وأما النسخة الثانية فهي ذات الرقم : ق ٢٦٨ ، وهي تامة ، وتقع في : ١٣٢ ورقة ، في كل صفحة ٣١ سطرا ، وفي كل سطر ٣١ كلمة .

وخطها مغربي صحراوي ، وأما معنى صفة خطها بالصحراوي فهو على البيّن دقته وانثناء أواخر ألفاظه إذا كانت راء أو ياء أو ميما بمدّة صغيرة على الحرف ذاته ، وأُراه أشبه بالخط المُعَلَّق على المعروف في مشرق عالمنا العربي لشدة تقارب الألفاظ بعضها من بعض ، لكنها لا تبلغ أن تتصل أو تلتصق .

وفي وجه أول ورقة منها سوى عنوان الكتاب واسم المؤلف هذه العبارة : سفر فيه ، وكذلك ذكر تملك هو : « الحمد لله ، بالله يثق ، وعليه يتوكل ، ملكه عبيد ربه ، أحمد بن محمد بن داود أجزي ، تغمده الله برحماه في دنياه وأخراه » وهو أدنى العنوان ، وتكرّر في الزاوية اليسرى من الورقة أعلى العنوان ، بخط مماثل وهو خط مباين لخط النسخة ، وإلى جانب تلك العبارة تحبيس على زاوية لم أتبين اسمها ، وأدناه بخط مماثل مايلي : الحمد لله ، على يد والدي السيد يوسف الناصر . وأدنى ذلك عبارة تملّك ، ولكن ما تلا من عبارتها طمس . ثم أدناه خاتم الخزانة العامة بالرباط ، وقد تكرر هذا الختم في غير حاشية من ورقات النسخة .

وفي غير موضع من الحواشي استدراكات مذيّلة بالتصويب حينا وبلفظ « أصل » حينا ، مما يقطع أنها نسخة مقابلة .

ولكنها مجهولة الناسخ وتاريخ النسخ ، وليس عليها من إشارة تهدي إلى ذلك ، حتى العبارة التي جاءت بآخر النسخة بعد تمامها أقطع أنها تضمنت ذكر الناسخ وتاريخ النسخ ، لأنها طمست دون أي أثر منها يعين على تبيّن ذلك أو الاهتداء به .

وأما صفة عبارتها فهي مقاربتها لعبارة النسخة الأم ، لولا كثرة ما فيها من سقط يغلب على الكلمات، ويكثر في بعض الجمل ، ويقل في بعض الفقرات ، وكذلك تداخل بعض فقرات في بعض أو تقدمها وتأخرها ، خاصة في أول النسخة ، وذلك بيّن في المواضع المذكورة :

الورقة ٢/أ : ١١ ، ١ ، ٢/ب : ٤ ، ٦ ، ١١ ، ١٣ ، ٤/ب : ٥ ، ١٢ ، ٥/ب : ٢٠ ، ٤ .

ولكن ميزاتها الأخرى أحلّتها منزلة النسخة التي تلي النسخة الأم في المقابلة ، وهو بيّن فيما انتُفع بها استدراكا وتوجيها .

ورمزت لها في التحقيق بحرف : « ص » .

٣ ــ النسخة الأم :

وأما النسخة الأم فهي نسخة : « برلين ــ ألمانيا » ورقمها هو : 578 . Pm . 17 ، على ما ذكر آلورد في فهرسه ، وعلى ما نقل عنه بروكلمان في كتاب تاريخ الأدب العربي .

وهي تامة إلا ورقة واحدة هي تتمة « باب حكم الوقف على اللام » ومبدأ سورة البقرة والحرف الأول فيها ، وهو قوله تعالى : (وما يخدعون) حتى ذكر الحرف الثاني ، وهو قوله تعالى : (بما كانـوا يكذبـون) ، على البيّن من الإشارة إلى ذلك في حاشية التحقيق . وأظن أن هذا الخرم لسقوط ورقة من الأصل المخطوط لكثرة ما آلت إليه النسخة من التنقل بدأ بمكة المكرمة وانتهى ببرلين ، فماذا عسى أن يلحقها من عوارض في هذه الرحلة ؟ .

وتقع في : ٢٤٨ ورقة سوى أوراق كتاب « الإبانة » التي ألحقت بالنسخة ، وهي تقع في : ١٤ ورقة ، في كل صفحة ٢٥ سطرا ، وفي كل سطر ١٦ كلمة .

وخطها مغربي أندلسي نسقاً واحداً كلها ، واضحته ، لا اضطراب فيه .

وتاريخ نسخها ثامن ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وأربعمائة للهجرة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم وعلى آله وصحبه أجمعين . فهي منسوخة في حياة المؤلف رحمه الله تعالى ، قبل وفاته بثلاثة أعوام ، وتمّ نسخها على ما ذكر الناسخ نفسه بمكة المشرفة بالديار الحجازية ، ويستفاد من عبارة الناسخ أن بعضا من الناس كلّفه نسخها .

وأما الناسخ فاسمه عبد الله بن محمد بن محمد الفهري ، وقد بحثت في أغلب التراجم والسير لأفوز بترجمة له تفي بقصد الكشف عن منزلته العلمية التي تعيّن لنا مقدار جهده في نَسْخه الكتاب ، وما يمكن أن يكون استفاده من نُسَخ أخرى اعتمدها في نَسْخه ، عارض بها نُسْخته التي كتبها ورجع إليها . فكان أنّ ما وقفت عليه من ذلك كله ترجمتان تكمّل إحداهما الأخرى على قصرهما وقلة فحواهما من المادة التي نحتاج إليها في ذلك .

فأما أولاهما فتفيد أنه من أهل تطيلة ، حافظ ، متقدم ، عالـم ، فاضـل ، صالح ، متدين ، وصفه بذلك ابن حُبَيش ، وذكره ابن حارث أيضا . وكانت له رحلة[1] .

---

(١) تكملة الصلة ٧٧٧

وأما الثانية فتذكر كنيته دون أن تسميه ، وتذكر أنه ألّف كتابا في نسب أبي علي القالي ، وما له من روايات ودخوله الأندلس[1] .

وعلى ظهر الورقة الأولى ، وهي صفحة العنوان غير عبارة العنوان فوقه إلى الشمال منه ذكرُ ثلاثة تملكات ، فأما أولها ، وهو الذي فوق العنوان فمطموس ، وأما الثاني والثالث فقد ظهر فيهما أن النسخة قد انتقلت إلى المالكين بالابتياع الشرعي ، ولعل المالكين كليهما قريبان ، لأن في لقب كل منهما نسبة « المدني » . وأما أولهما فقد بقي منه مايلي : انتقل .. الشرعي إلى ملك الفقير إلى الله تعالى .. ابن عبد الرحمن بن محمد .. الشافعي المدني .. وذلك في سابع شهر .. الاخر سنة ثمان .. وأما ثانيهما فالذي بقي منه فهو : .. انتقل بالابتياع الشرعي إلى العبد الفقير إلى الله تعالى .. بن علي بن حسن بن رشيد المدني .. في شهر رجب .. وأدنى ذلك بعض أبيات من الشعر بخط مغاير لخط النسخة أغلّب أنها في الظاءات التي جاء ذكرها في القرآن الكريم .

وقد تكرر في حواشيها مايؤكد أن هذه النسخة قوبلت على أصل لها ، أغلّب أن يكون ذلك الأصل نسخة المؤلف نفسه أو إحدى نسخه ، على ما يمكن أن يكون للمؤلف غير نسخة من مصنف له . وقد أكّد هذا عندي ماجاء من ذكر ذلك وهو : « نسخة الشيخ » في وجهي الورقتين : ٢٥٣/أ ، ٢٥٤/أ ، من أوراق كتاب « الإبانة عن معاني القراءات » وهو أيضا بخط الناسخ نفسه . وكذلك ما جاء من ذكر لفظتي « أُم » و « أصل » في حواشي هذه الورقات : ٤٦/أ ، ٤٩/ب ، ٥٣/أ ، ٧٠/ب ، ٧٧/ب ، ٩٥/أ ، وسواها .

ويقطع على أنها قوبلت وقرئت ما تكرر من عبارة « بلغت » و « بلغت مقابلة » في نحو الورقات التالية : ٤٠/أ ، ٥٠/أ – ب ، ٥٩/أ ، ١١٩/أ ، ١٢٩/ب ، ١٦٧/ب ، ١٦٩/أ ، ١٩٩/أ ٢٠٩/أ ، ٢٣٩/أ ، ٢٥٣/أ .

وأما عبارتها فهي الأَولى والأدق بين النسخ الأخرى ، إذ هي أوفى بالمعنى والأداء على الملاحظ من حواشي التحقيق . فالسقط فيها لا يكاد يعدو ألفاظا إلا قليلا

---

(١) نفح الطيب ٧٢/٣

من الجمل القصار . وأما الغلط فلا يتجاوز بعض الألفاظ من نحو لفظة « لـو » في وجه الورقة السادسة وتوجيهها بلفظة « لما » من نسخة « ص »، ونحو لفظة « لأن » في وجه الورقة الثامنة وكونها « ولأن » بالواو كما في نسخة « ص » ونحو لفظة « فإن » وتوجيهها بـ « فإذا » من نسخة « ص » لصوابه . ولكن هـذه الملاحظات بمجموعها ليست بذات بال في تقويم النسخة بين سواها من النسخ المعتمدة في المقابلة ، وكونها أفضل النسخ وأحراها بالتقديم أُمّاً .

وقد رمزت إليها في حواشي التحقيق بحرف « ب » وربما سميتها « الأصل » وذلك في موضعين لا أكثر .

خطة التحقيق :

وبعد أن اجتمعت لدي النسخ المذكورة ، وهي في القيمة على ترتيب ذكرها ، لكنها متفاوتة في هذه القيم من حيث ميزاتها الظاهرية والمضمونية ، جعلتها في الاعتماد في التحقيق على نقيض ذلك الترتيب .

وعلى مايبدو في الحواشي فإن مقابلة النسخ بعضها مع بعض يعرب أنها نسخ متكاملة لولا الاعتداد بنص نسخة برلين أُمّاً ، وما وقع في النسختين من خرم أو سقط ، ذلك لِما رجح من نص النسختين ومقاربتهما أو مساواتهما نصها .

وبالمقابلة بين النسخ الثلاث المذكورة تتامّت النسخة التي يمكن الاعتداد بها أقرب نسخة إلى نص المؤلف نفسه .

ولم يكن تقديم النسخة الأم بمانع من ترجيح عبارة إحدى النسختين الأخريين أو تصويبها أو تغليط عبارة الأم ، غير أن عبارة هـذه بنحو عام ، كانت المقدّمة المعتمَدة ، فضلا عما لحق النسختين الأخريين من سقط وخرم . وأما النسخة الرابعة ، وهي نسخة الأسكوريال فما أكثر ما استأنست بها سوى ما ذُكر في الحواشي .

غير أني إذ تقرّر طبع الكتاب راجعت هذه المقابلات ، فتبيّن لي أن بينها صنفا في إثباته مؤونة وتكا[illegible] لا داعي لهما ، ولا يفيد القارىء منه ولا المراجع أو الدارس أيضا . وإنما إثباته بمقتضى منهج التحقيق والدرس الذي تفرضه الدراسة العليا . وإذا كنت أنا الذي سيقوم بنشره أو أحد الناشرين غير مجمع اللغة العربية رأيت ورأى ما أقدمت عليه مما أنا مبيّنه بعد قليل بشأن هذا الصنف من المقابلات بين النسخ ، خاصة بين النسختين الأُم والنسخة التالية لها التي رُمز إليها بحرف « ص » .

ولا تخرج المقابلات بين هاتين النسختين في كل أصنافها ، على البيّن في حواشي الكتاب ، عن خمسة هي :

استدراك سقط في النسخة الأم وهو قليل نحو :

استدراك كلمة « القراءات » و « هشام » ، وعبارة « بين الهمزة والألف » ، وقول « فإنه » وكلمة « حرف » . وعبارة « وفعل قالون ذلك ليجمع بين اللغتين » وهي في الصفحات التالية متلوة بأرقام ملاحظاتها : ٤ : ٢ ، ٧٤ : ٥ ، ٧٧ : ٤ ، ٦ ، ٩١ : ٦ .

وتوجيه العبارة أو اللفظ بالترجيح ، نحو :

وحرصا عن وترجيح حرف « على » ، القراءات السبعة وترجيح « السبع » ، وللاستخفاف لأن المعنى وترجيح « ولأن » ، وحائلة بين الهمز وبين الساكن وترجيح « الهمزة » ، وهي في الصفحات : ٣ : ٩ ، ٥ : ٤ ، ٣٩ : ٨ ، ٤٩ : ٨ .

وإثبات الخلاف بينهما دون تعليق في أغلب الأحيان لاعتماد عبارة نسخة الأم نحو : صفات ، الإسلام والقرآن ، واسأل ، أو إيجاز ، وأيضا ، ولإثباتها ، يفصل ، أشبهه ، وهي في الصفحات : ٣ : ١ ، ٣ ، ٤ : ٥ ، ٥ : ٦ ، ٨ : ٦ ، ١٣ : ٣ ، ١٦ : ٦ ، ٣٣ : ٢ .

وتصويب عبارة أو لفظة أو قول بغيره في النسخة المذكورة ، وهذا لا خلاف فيه .

وذكر سقط لفظ أو قول أو عبارة في النسخة المشار إليها نحو : وعلى آله ، لكن يجب لمن .. الكتاب ، فهي ، أو يقف على رشد .. فقد غوى ، ومنعها .. ومكاتبهم ، للفرق ، فيهن على ما قدمنا ، وهي في الصفحات التالية : ٣ : ٧ ، ٥ : ٧ ، ١٤ : ٥ ، ٣٣ : ٤ ، ٣٦ : ٥ ، ٦ ، ٧٦ : ٤ .

وهذا الصنف هو الذي خصصته بهذه الإشارة ، إذ رأيت ما اختلف من لفظ كلمة كانت أو حرفا دون القول والعبارة أو سقط نحو : « به » بدلا من « بإمالته » و « أحدهما » من « آخرها » و « من » من « في » و « الياء » من « أصلها » و « سائر » من « باقو » و « للفتح » من « الفتح » و « المقدمة » من « المتقدمة » و « الإمالة » من « الإمالات » و « لما » من

« بما » و « المزيدة » من « الزائدة » و « هذه » من « هذا » وما أشبه ذلك ، فليس تفيد الإشارة إليه في المقابلة ، غير ما ذكرته من حيث منهج التحقيق والدراسة، ولذا فقد اقتصرت على إثبات بعضٍ منه في الكتاب حتى الصفحة « ١٧٢ » نموذجا منه ، ثم أخليت الكتاب منه بعد ذلك .

وحرصت أشد حرص على تدبّر العبارة وضبطها ، مستعينا بأصول المؤلف ومصادره نحو كتاب « التبصرة في القراءات السبع » ، وقد تيسرت لي منه نسختان جيدتان ، وكتاب « الهداية إلى بلوغ النهاية » نحو نصفه الأول ، وكتاب « تفسير مشكل إعراب القرآن » وكتاب « الرعاية لتجويد القراءة .. » وسواها ، وبغيرها من كتب الفن وسواه نحو القراءات واللغة والنحو ، بينها المخطوط لأئمة معتدّ بهم كمثل كتاب « المختار في معاني قراءات أهل الأمصار » لأبي بكر أحمد بن عبيدالله ابن إدريس ، ولم تكن المطبوعة منها أقل من التي تقدّم ذكرها فائدة ، فإن بينها نحو كتاب « الحجة في علل القراءات السبع » لأبي علي الفارسي ، وكتاب « النشر في القراءات العشر » لابن الجزري وغيرهما . ولم تقلّ فائدة كتب فنون العربية عن فائدة كتب القراءات ، في ضبط العبارة وإقامة اللفظ وتوجيه المعنى . وإن في استعراض الحواشي وفهرس مصادر التحقيق ما يكشف عن هذه الخطة في إقامة النص وضبط عبارته .

وقد عَرضت لاصطلاحات الفن وسواه فعرّفت بأغلبها إذ ذُكرت أول مرة . وعرّفت بالأعلام بما فيه الكفاية دون أن أعيد ذلك إذا ذُكر بعدُ .

وأحلت على مصادر الأخبار والآثار ، وتوخيت ترتيب ذكرها زمنيا إلا أن تكون علة توجب تقديم أحدها . وكنت أذكر مواضع الإحالة عند تقدمها إذا تماثلت أو تكرر ذكرها .

واتّبعت في تخريج الآيات طريقين : أولاهما تخريجها في المتن ، وذلك بذكر السورة ورقم بين قوسين صغيرين هكذا : « ... » بعد نص الآية . هذا إذا جاءت الآية تامة ، أو جاء منها جملة مفيدة ، وثانيهما تخريجها في الحاشية ، هذا إذا جيء من الآية بكلمة أو أكثر ، من غير أن تفيد معنى ، أو جيء بألفاظ من آيات شتى

متتابعة • وراعيت في هذا التخريج أيضا الإحالة على مواضع تقدم الآية إذا تقدمت ، وجاء ذكرها بعد قليل ، أو تأخرت وتقدّم تخريجها • وكنت أحصيت لهذا الغرض مواضع ذكر كل حرف وآية في كل الكتاب تيسيرا للعودة إليها •

وراعيت أيضا في إثبات قراءة حفص عن عاصم في كل موضع جاءت القـراءة فيه غير مقيّدة بوجه ، فإذا جاءت معزوة إلى قارىء بعينه ، أو موجهة وجهة بذاتها فإنني أثبت المقتضى من ذلك •

وراعيت الرسم الذي نعتده في إملائنا غير المواطن التي اعتدّت فيها وجوه بعينها بيانا وتدليلا على المقصود بها •

وقد خصصت فهارس للكتاب عدة ، غير فهرس المقدمة ، قدّمت عليها فهرس الموضوعات ، مجتهدا في الاحتفاظ بعبارة المؤلف ذاتها إلا أن أحتاج إلى عنوان اشتمل عليه عنوان عام فإنني أتخير عبارة العنوان مما يفي بالمرام ، وأجعل مثل هذه العنوانات بين قوسين صغرتين هكذا : « ••• » •

واتبعته فهرس الآيـات على توالي السور في المصحف ، ذاكرا رقـم الآيه ، متبوعا برقم الصفحه •

ثم خصصت فهرسا للأخبار والآثار مرتبة على توالي أوائلها هجائيا مذكـورا أغلب نصها •

وفهرسا لأسباب النزول والتفسير على توالي ذكر ذلك في الكتاب •

وكذلك فهرس للأعلام ، ولكن لم أقتصر في ذكرها على مواضعها من صفحات التتابع مذكورة أحرفها ومواضعها بحسب نسق ذكرها في الكتاب •

وفهرسا للشعر ، ذكرت فيها الأبيات بتمامها كما هو ترتيب قوافيها •

وأعددت فهرسا لاختيارات مكي من وجوه القراءة نسق ذكرها غير المواضع التي أغفل هو ذكرها مقتصرا على ما تقدّم لها من مثيل ، كما قعّد في أول الكتاب ، وكرّر ذلك في غير موضع •

وكذلك فهرس لمسائل العربية من حيث الإعراب والاشتقاق ونحوهما وهي على الكتاب ، وإنما ذكرت علة ذلك من نحو وجه إعراب ذهب إليه ذلـك العَلَم أو

تفسير أو قراءة أو لغة وسواها ، مثبتا ذلك الوجه بين قوسين ، إلا أني أغفلت ذكر القراء السبعة إلا أن يتفرد أحدهم بوجه ليس مما يشركه فيه أصحابه كنحو ما نُقل عن أبي عمرو من تفسير أو لغة ، وما نقل عن الكسائي من وجه نحوي أو لغوي . وأما رواتهم المباشرون ومَن دونهم فقد ذكرتهم كغيرهم من الأعلام .

ومثل ذلك فهرس الأقوام والجماعات والأماكن ، فقد قرنت بين ذكرها وعلته ، متوخيا من ذلك فائدة كشف موضوعات الكتاب ، وتعيين جزئياتها ، كي يتم القارىء الانتفاع من الكتاب في كل جوانبه ميسّراً له ذلك .

ثم فهرسا لمصادر المؤلف من كتبه ، سواء التي اعتدّها في تأليف هذا الكتاب أو التي استعان بها ، دون غيرها .

وكذلك فهرس لمصادر التحقيق ومراجعه ، التي عدت إليها ، وهي إما مخطوطة ، وقد ذكرتها على تواليها الهجائي ، وإما مطبوعة ، وكذلك ذكرتها .

ولم يكن عملي في هذا الكتاب على ما بيّنت لولا توجيهات أستاذي المشرف الدكتور رمضان عبد التواب الذي لازم العمل بكل ما عرف عنه من النشاط والدأب وتحرّي الدقة ، وما تفضّل به من ملاحظات سديدة ، وكذلك العالم الجليل الأستاذ علي النجدي ناصف ، الذي كانت له نظرات واعبة في التقويم والتوجيه . وينبغي أن أذكر ما كان للأستاذ الدكتور طه عبد الحميد طه من مشاركة ملحوظة أفدت منها . فجزى الله تعالى عني وعن العلم كل ذي فضل خيرا كثيرا .

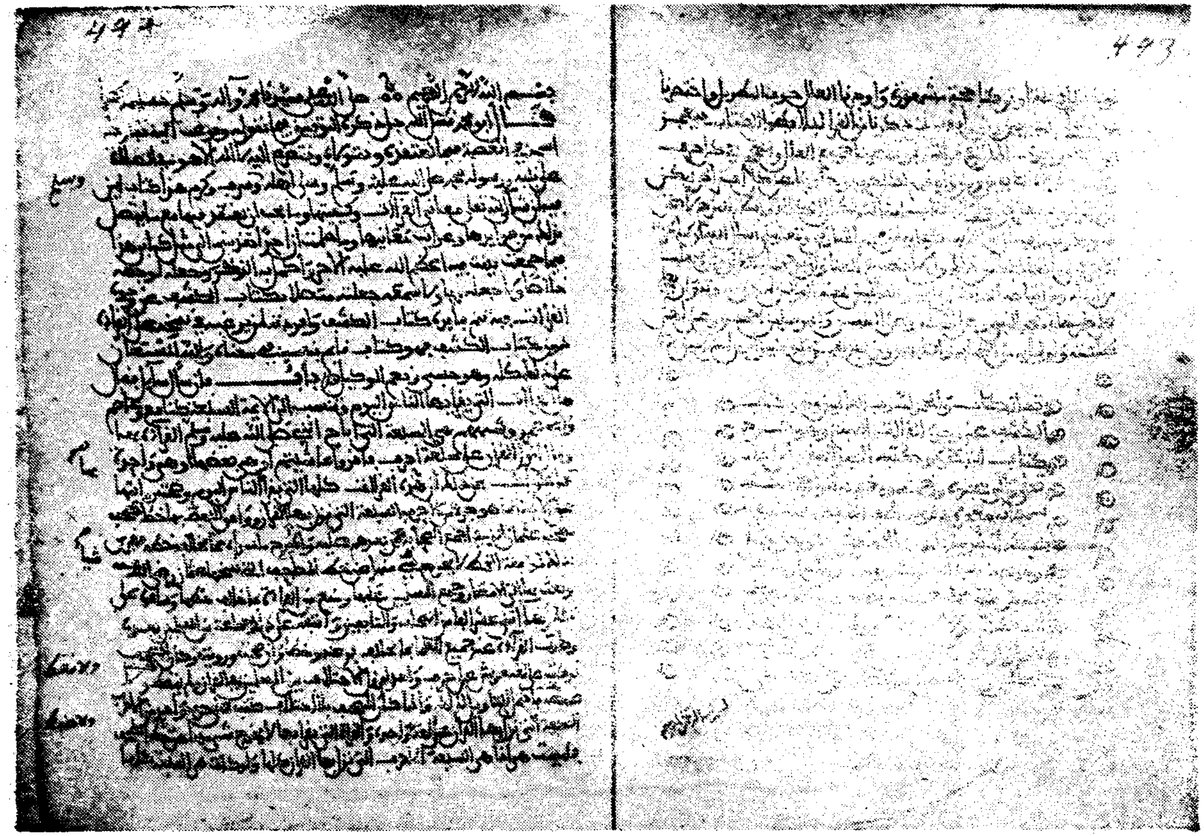
فهذا جهدي كله ، لا أبتغي به غير أداء الأمانة في مثل هذا العمل ، وتبيّن معالم الطريق القويم إليه ، والله عز وجل في ذلك وفي كل حال هو حسبي ، والحمد لله ربّ العالمين .

دمشق في ١٤ من رجب ١٣٩٣
الموافق ١٢ من آب ١٩٧٣

محيي الدين رمضان



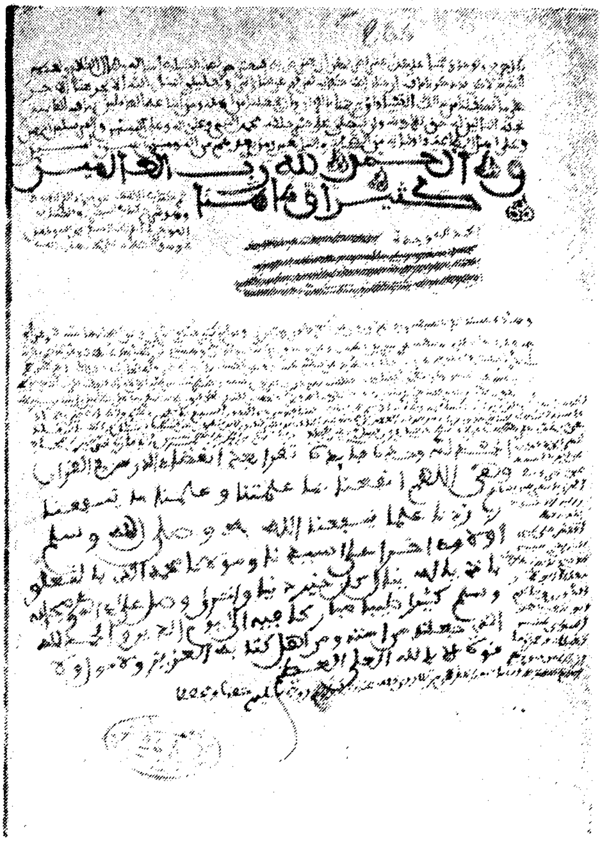
اللوح الأول بعد ورقة العنوان من نسخة برلين – ألمانيا ، ورمز لها بحرف «ب»



اللوح الأخير من نسخة برلين ـ ألمانيا ، فيها الصفحة الأخيرة من الكتاب
والصفحة الأولى من كتاب «الإبانة»



اللوح الأول بعد ورقة العنوان من نسخة الرباط – المغرب الأقصى
ورمز لها بحرف "ص"



اللوح الأخير من نسخة الرباط ـ المغرب الأقصى



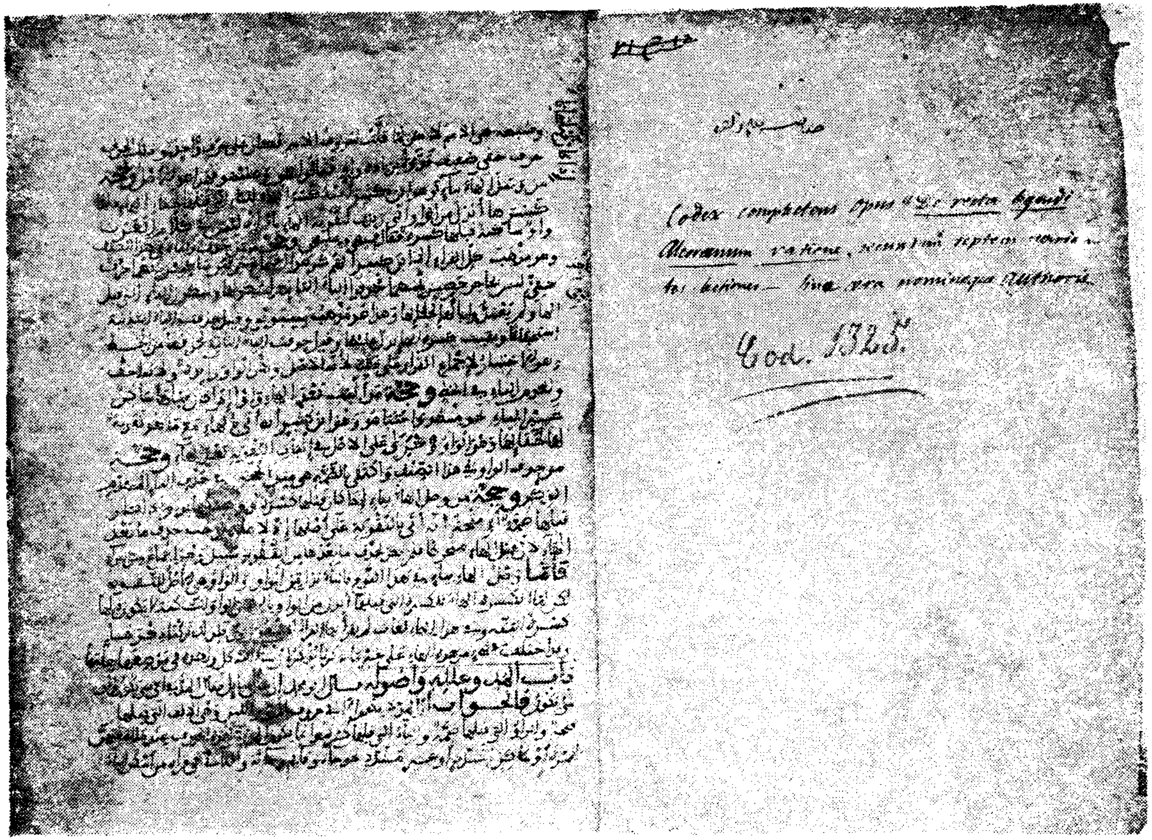
اللوح الأول بعد ورقة العنوان من نسخة الرباط ـ المغرب الأقصى
ورمز لها بحرف « ر »



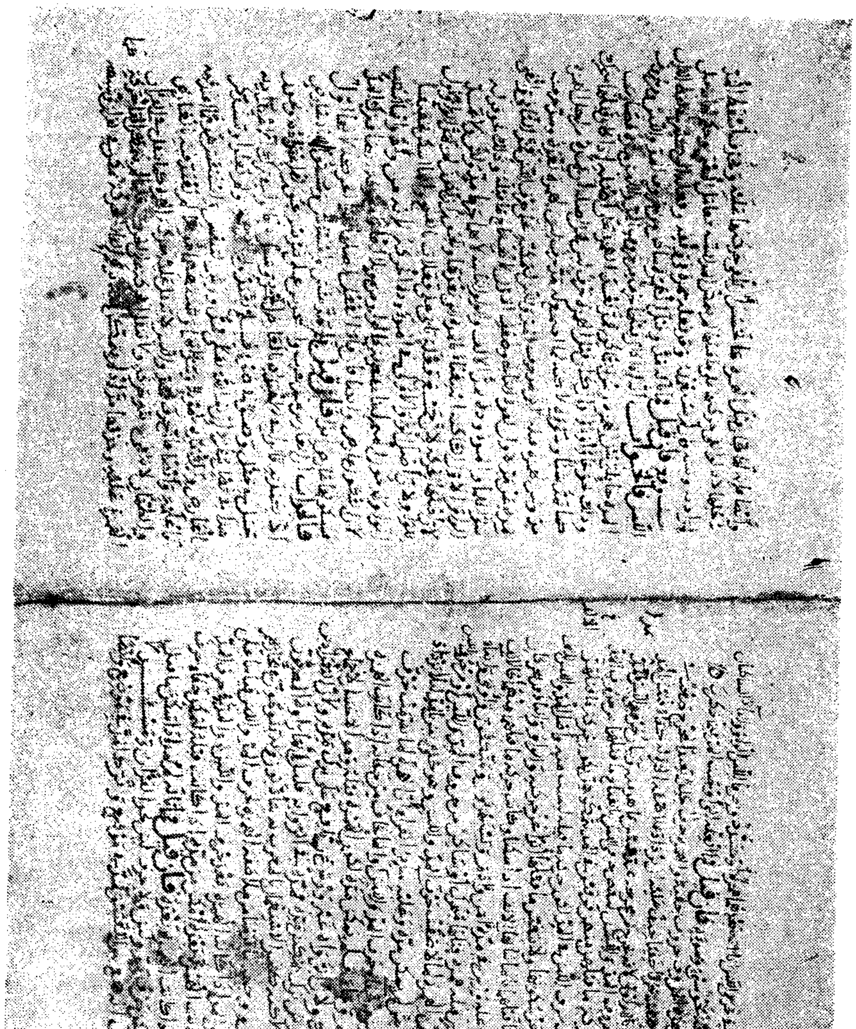
اللوح قبل الأخير من نسخة الرباط ـ المغرب الأقصى



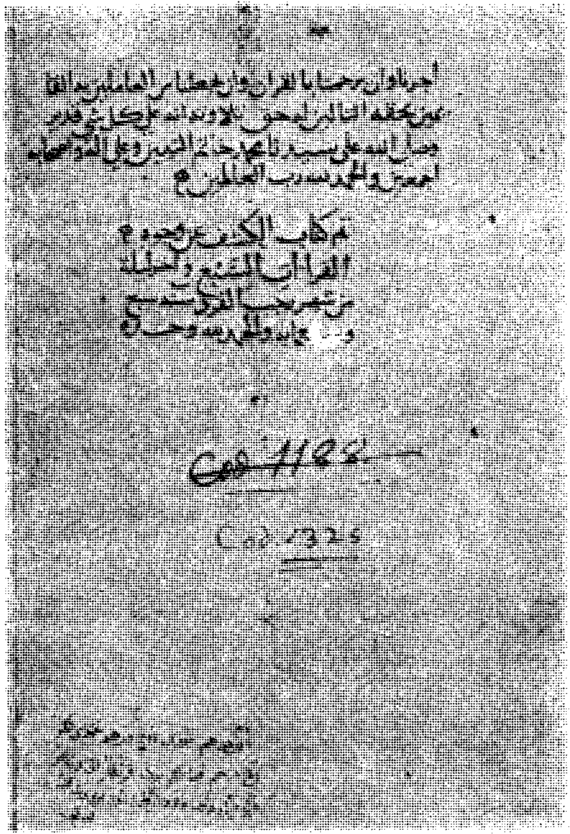
اللوح الأخير من نسخة الرباط ــ المغرب الأقصى
فيها تتمة كتاب «الكشف» وبعض من كتاب «الإبانة»



اللوح الأول بعد ورقة العنوان من نسخة الأسكوريال ـ إسبانيا
ورمز لها بحرف «ل»



اللوح الثاني من نسخة الاسكوريال – إسبانيا



اللوح الأخير من نسخة الأسكوريال ـ إسبانيا